14 me Année No. 698

Lundi — 18 — 11 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٥ — ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

نافقاء اليربوع

للأستاذ محمود محمد شاكر

لى صديق ، أطال الله بقاءه ، يعيش فى الدنيا وهو خارج منها . هذا غاية نَعْته وصِفته : « يعيش فى الدنيا » وهو حريص عليها ، لا حرصَ البخيل الذى يجمع المال ، ولا حرصَ المستمتع المستهتر باللذات ، ولا حِرْصَ الطامع الطامح فى الخلود — كلا بل هو حرصٌ على حِدَته وعلى حِياله لا يُشبهه فى الناس إلا قليل . هو حِرْصٌ على التعجُّب منها ومما فيها ، وهو حرصٌ على النظر فى الأشياء والحيرة فى فهمها — واضحة كانت أو مبهمة ، وهو حِرْصٌ على استيعاب الحياة كما هى عند الناس من نُظرائه ومن غير نظرائه . ولا يخرجُ من كل هذا الحِرْص الشديد على الدنيا التى تحت عينيه إلا بطول التساؤل وبتنازُع الحيرة ، وبالخوف مما كان ومما لم يكن . هذه واحدة .

وعجيبٌ أنه أبداً مولَعٌ بهذا الحرص وَلَوعَ المحبِّ بحبٍّ جديد . وهو نفسه يعلم أنه حرص عقيم لا يجدى عليه شيئاً فى معرفة الدنيا ولا فى التثبُّت من شىء من أحوالها ، ولكنه يزدادُ به على الأيام وَلُوعاً وكلفاً وغراماً حتى يستهلك نفسه فى السؤال والبحث والتقصّى عن أشياء لا تغنى عنه شيئاً ، ولا يغنى عقله فى إدراكها ، ولا يغنى قلبه فى الإيمان بشىء منها . وهو يأبى أن يُلْقى عن كاهله هذا العبء الثقيل الفادح ، وإن كان يثق كل الثقة بأنه شىء لا جدوَى من حَمْله ، ولا من الصَّبر على بلواه . هذه ثانية .

وثالثة الأثافىّ ، كما قال أسلافنا ، أنه إنسان حىُّ النفس قابلٌ للتلقِّى ، فكل شىء من حوله يثير فى نفسه الفضول ، ويبشُر عليه ذلك الحرصَ الشديد على المعرفة — مجديةً كانت أو غير مجدية ، لا يبالى ، فإذا هو كالمغموم إذا اعترضه ما يعوقه عن الاستقصاء . وأشدُّ من ذلك هولاً أنه لا يكادُ ينسى شيئاً مما ائتمنَتْه نفسه على استقصائه ، إذا قطعه ذلك العارض البغيض إلى نفسه ، فإذا عادَ إلى ما لا بدَّ له منه عاد أشدَّ رغبة فى النفاذ والاستقصاء والبحث . فهو بذلك مُمعَنٌ على الحرص على الدنيا وما فيها بالذى انطوت عليه جوانحه ، وبالذى فطرت عليه نفسه ، فهو لا يرى خلاصاً ، أو لا أرى أنا له خلاصاً ، من هذه العادة المتمكنة ، أو هذه الخصلة الكامنة فى أعمق أعماق طبيعته .

فهو بهذا الذى وصفت : « يعيش فى الدنيا » ، ولكنه « خارج منها » بشىء آخر ، وإن كان متصلا بهذا كله أشد الاتصال . فهو لا يكادُ يعبأُ بنفسه شيئاً ، بل هو لا يعرف أن له نفساً موجودة ، أو أصحُّ من ذلك أنه يشك كل الشك فى وجود نفسه ، فهو أبداً مختلِسٌ من نفسه بالبحث عن نفوس الناس . وهذه مَثْلبة الفضول ، فإنها تمنعُ المرءَ عن التأمل فى

نفسه ، فإذا أراد أن يتأملها فكأنما يتأمل شيئاً غريباً ليست بينه وبينها وشيجةٌ أو آصرةٌ أو عاطفة . ومن أجل ذلك تراه يدور من حياته هو في مثل الحلقة المفرغة لا يدري من أين بدأ ولا أين انتهى ، ولا يعرف أهذا هو الحق في فهم نفسه أم الحق سواه . ويذهب ويعود في البحث ولكنه لا ينتهي إلا إلى شيء واحد هو أنه لا يدري .

كنتُ على وشك أن أكتب شيئاً حين أسرع هذا الصديق إلى التلفون ليسألني هل قرأتُ جريدة « المصري » ، وما جاء فيها من الذي سمّته « النص الحرفي لمشروع اتفاقية صدقي — بيفن ، ولبروتوكول الجلاء والسودان » : وذلك في عدد الأحد ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦ ، وكنت قد فرغت لساعتي من قراءته ومن التعجب لما جاء فيه . وأنا لا أستطيع أن أطمئن إلى نصٍّ مختلس لا أدري أحقٌّ هو أم باطل ، ولكني قرأته فإذا لم يكن هو النص فكأنه هو ، لأنه أشبه مُعْوَجٍّ بحقيقة العوَج . ولا أظن أن الانجليز يبلغ بهم صدق الطبيعة أن يقولوا في السياسة شيئاً على وجهه وعلى استقامته ، فلذلك خُيِّل إليَّ أن في هذا النص طرفاً من الحقيقة الدالة على طبيعة الاعوجاج في ألسنة هؤلاء الساسة الإنجليز ، ولست أعجل إلى تمثل هذا النص المختلس فأقول في عبارته قولا ، فإن العجلة في مثل هذا شيء لا غناء فيه ، كما لا غناء لك في إقناع الإنجليز بأن الحق الذي لك هو حقك ، إذا كان الإنجليزي يرى أنه ليس حقاً لك ، وإن ظاهرتك الدنيا كلها على حقك .

ونحن منذ كانت سنة ١٩١٩ أخذنا نجهل كيف يعامَلُ هؤلاء الناس ، فإن ذلك التخطّل الذي ضَرَب على آذاننا وأبصارنا وقلوبنا ، والذي يسمونه « المفاوضة » قد جرّ فنا في عُباب مُتلاطم من الحيرة والضلال ، فما نكاد نبصر ولا نعي ولا نعقل شيئاً من حقيقة هذا الشعب الإنجليزي أو ساسته الذين يتصرفون في أمور الدنيا كأنهم وارثوها وأصحابها الذين تلقّوا مقاليدها من يَدِ الله القدير العزيز . وكنت أظنُّ أن التجارب قد حنّكت رجالنا فعرفوا مواعيد هؤلاء القوم ، وأدركوا كيف تكون مواثيقهم منذ علا أمرهم في الأرض ، وكيف كان تاريخ معاهداتهم منذ كان لهم شأن في هذه الدنيا يكتبون من أجله المعاهدات . بيد أن ذلك لم يكن ، لأن رجالنا يستضعفون أنفسهم ، ويظنون أن هذا الشعب لا يمكن أن يظفر بحقه إلا بمداورة الإنجليز والترفق في معاملتهم ، حتى ينالوا من أيديهم ما تيسّر ! وهذا عجبٌ ! بل هو غفلةٌ ، بل هو كدْحٌ أحمقُ في سبيل لا شيء . فقل لي بربك كيف يستطيع إنجليزيٌّ أن ينزل لنا عن شيء هو يريدُ أن يؤمن بأنه حقٌّ له ، وإن كان حقاً موروثاً متحدّراً مع أسل البشرية كلها ، وهو الاستقلال والحرية ! ...

خلق الله في دوابّ الأرض دابة يسميها العرب اليَرْبُوع ، تكثر في بلادهم ، وهي نوعٌ من الفأر قصيرُ اليدين جداً ، وله ذنب كذنب الجُرَذ يرفعه صُعُداً ، وفي طرفه شبه النَّوَارة . ولهذا اليربوع أسلوب فردٌ في حياطة نفسه وأموره ، حتى إنه يتخذ لعشيرته رئيساً يقف حارساً على جِحرَة اليرابيع يحميها ، فإذا قَصّر في الحراسة ، وهجم على اليرابيع من جراء غفلته وإهماله هاجمٌ أفزعها أو أضرّ بها ، انقلبت على ذلك الرئيس فقتلته وأقامت غيره مقامه . ويتخذ كل يربوع منها جِحرَةً يلوذ بها ، ويجعلها سبعةً لها سبعة أبواب . فيبدأ أول ما يبدأ بالجحر الذي يسمونه « الرَّاهِطَاء » فيغطيه بالتراب حتى لا يبقى منه إلا على قدْر ما يدخل الضوء منه إلى جحره هذا ، ثم يحتفر جحراً يسمونه « الحَاثِيَاء » يحثو عنده التراب برجليه ليخفي مدخله . ثم يحتفر آخر يسمّونه « الدَّامَاء » لأنه يُدَمِّمه بتراب نَبِيشَته حتى لا يَنْفُذَ منه عدوٌّ ، ثم ينشيء جحراً آخر يقالُ له « العانقاء » يملؤه تراباً ، فإذا جاءه ما يخاف اندَسّ فيه إلى عنقه . ثم يَحْفر « القَاصِعاء » وهو جحرٌ يسدُّه سدًّا محكماً لئلا يدخل عليه منه حيّة أو دابة . ثم يحفر « النافقاء » ويجعل على فَمِه غشاء رقيقاً ، فإذا أُخِذ عليه بقاصعائه عدا إلى هذه النافقاء فضربها برأسه ونفق منها وعرق خارجاً . ثم يجعل سابع سبعة جحراً يقاله له « الأُسْزَ » يجعله بين القاصعاء والنافقاء ، يحفره مستقيماً إلى أسفل ، ثم يعدلُ به عن يمينه وشماله عُرُوضاً تعترض ، يُغَمِّيه ليخفي مكانه بذلك الإلغاز ، فإذا طلبه طالب بعضاً أو سواها نَفَق من الجانب الآخر

أفرأيت إلى كل هذه الحيطة وكل هذا التدبير ! فلا تعجبْ

فإنك واجدٌ فى الخُلُق الإنجليزى أكثر من هذا مداورةً وتفلُّتاً وإلغازاً ومراوغة . والإنجليز أنفسهم يعلمون أنهم كذلك وأنهم يخفون فى سرائرهم ما لو اطَّلعت عليه لاستصغرت من احتيال هذه الدابة ما استكبرت ومن أراد أن يدخل على الإنجليز جحرَهم وقع فى متاهة لا يدرى معها من أين ولا إلى أين . فمن العجيب الذى لا ينقضى عجبه أن يظن رجالٌ من رجالنا أن فى طوقهم أن يراوغوا الإنجليز فيستولوا على جحرهم المحتفرة فى طبائعهم وأخلاقهم وعقولهم .

إن معنى المفاوضة والمعاهدة بيننا وبينهم هى أن يسعى الانجليز جُهدهم حتى تطمئن إليهم ، فإذا فعلت أخذوا بيدك وقادوك إلى مثل جحرة اليربوع ، فيدخلون بك من واحدٍ إلى ثانٍ إلى ثالث ، حتى إذا خُيِّل إليك أنك قد تمكنت منهم «نفقوا» من نافقائهم بأسهل مما كنت تتصوَّر . وهكذا شهدنا وعرفنا وخبرنا منذ احتلوا بلادنا فى سنة ١٨٨٢ ، فوعدوا الدنيا كلها — لا نحن وحسب — بالجلاء الناجز ، ولكنه ظلَّ وعداً إلى هذا اليوم . وجاءونا اليوم يعدوننا أيضاً أن يَجْلوا عنا بعد عام أو عامين أو ثلاثة — أىُّ ذلك كان . فمن الذى يصدق هذه اليرابيع ؟ ومن شفيعهم وضميمتهم فى كل هذا ؟ أهو الخطُّ المكتوب ، أم اللفظ المنطوق ، أم سوابق العهود المؤكدة والمواثيق الغليظة !!

إنها لغفلةٌ أن يرى امرؤ نفسه أقدرَ على خديعة هذه اليرابيع من قدرتها هى على خديعته . وليس يعلم شيئاً من ظن أن الإنجليز يتفضون أيديهم من شىء هو كائن فى أيديهم . فالإنجليز يرابيعُ بالطبع والممارسة ، حتى إن « النِّفاق » الذى علمته فى أخلاق اليرابيع ، قد صار أيضاً خُلُقاً من أخلاقهم يشهدون لهم به على أنفسهم ، ويشهدُ عليهم به تاريخهم منذ كان لهم تاريخ . وهذا النفاق المطبوع هو الذى جعلهم أقدر شعوب الأرض فى كل شئون السياسة . وما مواعيدهم ، ولا معسول ألفاظهم ، ولا روعة دعوتهم إلى الحرية ، ولا كمال إخلاصهم فى تحرير الجنس البشرى من غوائل النازية ، ولاصبرهم على المكاره فى سبيل المثل الأعلى للانسانية — كل ذلك ليس ببعيد عنا فى زمن الحرب الماضية . لقد نطقوا بكل شىء ، ولكنهم لم يحققوا شيئاً مما نطقوا ، فكيف ترضى لأنفسنا أن نؤمن بأنهم فاعلون معنا شيئاً لم يردّهم خجل ولا حياء عن نكث مثله وإخلافه ، بل أكبر من ذلك أنهم فعلوا نقيضه وردافعوا عن فعله بمثل القوة والبلاغة التى كانوا يزيّنون بها لأمم الأرض أن تُعينهم فى أيام محنتهم وبلواهم !

ومن عجائب الإنجليز أنهم يعلمون علماً ليس بالظن أنهم معتدون متغطرسون ظالمون ، يأكلون الحقوق أكلا لا يرعون فيه حرمة ولا ذمة . ومع ذلك فهم من طول ممارستهم للنفاق قد انتهوا إلى أن أقنعوا أنفسهم بأن هذا الاعتداء وهذه الغطرسة وهذا الظلم ليس له وجود حقيقىّ ، بل العكس هو الصحيح ، وهو أنهم وحدهم دون سائر العالمين أهل العدل والنَّصَفة والتواضع ، وأنهم هم الذين جاءوا إلى الدنيا ليردوا الحقوق إلى أهلها ، وأنهم هم القوّام على هذه الرسالة السامية . ولذلك ترى كلام رجالاتهم كلاماً نيّراً مضيئاً فاتناً ساحراً إذا عرضوا لمعنى الحرية وما أطافَ بها ، ويُخيَّل إليك أن إيمانهم بهذه المثل العليا إيمان لا يعتوره نقصٌ . وهذا حق ، ولكنهم إذا جاءوا إلى تنفيذ مايقولون رأيتهم أهل بَغْى وعُدْوان فيما ترى ويرى الناس ، ولكنهم هم يصرُّون على أن هذا هو الحق الذى لا محيصَ لك ولا للناس عن الأخذ به ، تقول : وإن كان بغياً وعدواناً ، فأقول : وإن كان بغياً وعدواناً !

والإنجليزى يرى أن هذه الأمانة التى حُمِّلها هى الأمانة ، وأنه مؤدِّيها على وجهها ، فإن أنت خالفته وزعمتَ له أنه يجورُ عليك جوراً عبقرياً قال لك : إنك شديد المماكسة مولَعٌ بالجدال ، ويحاول أن يبسُط لك الأمر بسطاً حتى تقتنع بأنه غير ظالم ، بل هو العادل الذى لا يعرف العدل أحدٌ سواه . ومن شاء أن يناقض هذا الذى أقوله فلينظر إلى حُجَّة هذا الشعب فى موقفهم أو احتلالهم للهند ، وفى احتلالهم لمصر من أجل الهند . فالهند مستعبدة ظُلماً وجوراً ، وهم يريدون أن يحتلوا بقاءهم فى مصر ، لأن فيها قناة السويس ، وهى التى تؤدى أو تسهل الطريق إلى بلاد الهند . فإذا خرجت القناة من أيديهم كان ذلك وبالا مستطيراً على مصالحهم فى الهند ! فينبغى عندهم أن ترضى مصر بالأمر الواقع ، وهو بقاؤهم حراساً على القناة ، لئلا تضيع مصالحهم فى البلاد التى استعبدوها واستذلوها وأفقروا أهلها وأكلوا أموالها

من التاريخ الإسلامي :

وديعة الله (*)

للأستاذ علي الطنطاوي

[إلى أصدقائي وتلاميذي في بغداد، ولا سيما الأحبة على طريق الأعظمية ليذكروني بهذه الهدية كما أذكرهم دائما]

« علي »

كان فتى من أبناء التجار ، بارع الفتوّة ، واسع الغنى ، قد جمعت له اللذائذ ، وسيقت إليه المنى ، وكأنه البحر تنصبّ فيه جداول الذهب ، وداره الجنة تجري من تحتها الأنهار ، وفيها الحور العين ، خمسون من الجواري الفاتنات اللاتي حملن إلى بغداد من أقطار الأرض وحشدن فيها ، كما تحمل إلى مخدع العروس كل وردة فاتنة في الروض ، وزهرة جميلة في الجبل ...

(*) كتبت لفتاة من محطة الشرق الأدنى في يافا وأصل القصة في الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي في أوائل الجزء الثاني فليرجعها القراء .

وأعروا ذراريها ، وهتكوا الستور عن أحرار نسائها . يا له من منطق ! وهل في طاقة أحد أن لا يقتنع برأيهم في حفظ كيان هذه الامبراطورية الضخمة ! كلا بل ينبغي أن يُطيع العالم وأن يَسمع . فلو أن الإنجليز فرّطوا لهوَى العلم البريطاني إلى الرغام في أرض الهند ، ولبقيت الهند عارية لا تجدُ هذا الدفء الحلو اللذيذ ، ولا هذا الظل الوارفَ الناعم الذي ينشره عليها علم بريطانيا !

فحدثني أيها الصديق ماذا تريد بعد ذلك أن أقول لك في هذه المعاهدة التي تريد إنجلترا أن توقعها مصر راغمة أو راضية ! دَعْ عنك الحيرة ، ودع عنك تقلب الرأي ، واختر لي أنت رأياً أصير إليه . وإلا فإني أقول لك كما قلت دائماً : إن المعاهدة بيننا وبين بريطانيا ، هي أن ندخل معها في جُحر اليربوع حتى إذا استقرّ بنا القام قليلا « نفقت » كما يمرق اليربوع من نافقائه إذا سُدّت عليه المسالك !

محمود محمد شاكر

ولكنه لم يشعر بنعيم الحياة ، ومتعة العيش ، حتى اشترى هذه الجارية بخمسمائة دينار ، وكان قد رآها في سوق الرقيق فرأى جمالا أحلى من أحلام الحب ، وأجل من بلوغ الأماني ، وأطهر من زنبقة الجبل ، فهام بها هياماً وزاد فيها حتى بلغ بها هذا الثمن ، وانصرف بها إلى داره ، وهو يحسب أنْ قد حيزت له الدنيا ، وأمتع بالخلود ، واشتغل بها وانقطع إليها ، ولم يعد يخرج إلى الدكان إلا ساعة كل يوم ثم لا يستطيع أن يصبر عنها ؛ ويزلزله الشوق إليها ، وتدركه هواجس الحب فيغار عليها ، لا من الناس فما يصل الناس إليها ، بل من الشمس أن تلمحها عين الشمس ، ومن النسيم أن تلمسها يد النسيم . ويشعر بهذه الغيرة المحرقة في قلبه ، فيُهرع إليها ليطفئها بلماها ...

لقد صار هذا الحب مصدر لذته ، وسر حياته ، ما كان يدري من قبله ما اللذة وما الحياة ، وما كان يحسّ أنه يعيش حقاً وأن له قلباً ، وما كان يدرك من قبله بهاء النهار ، ولا فتنة الليل ، ولا سحر القمر ، كان ذلك عنده كالألفاظ بلا معنى ، يفهم منه ما يفهمه الأعجمي إذا تلوت عليه غزل العرب ؛ فلما عرف الحب أدرك أن وراء هذه الألفاظ معاني تهز الفؤاد ، وتستهوي القلب .

وكان يمشي في طريق الحياة كما يمشي الرجل في المتحف المظلم فطلع عليه هذا الحب نوراً مشرقاً أراه هذه التحف الفاتنات وهذه الروائع ...

***

وتتالت الأيام ، وزاد إقبالا عليها وإعراضاً عن الدكان . وكان يبصر دنياه تدبر عنه ، وتجارته تذوب في ضرم هذا الغرام كما يذوب الثلج ، وتتبدد كما يتبدد الندى في وهج الشمس ، ولكنه لا يكره هذا الحب ولا ينفر منه ولا يزداد إلا تعلقاً به وتمسكا بأهدابه . وكان كل ما في الحياة من متع ، لا يعدل عنده لحظة واحدة من لحظات الوصال ، وذهب الأرض كله لا يساوي هناءة من هناءات الحب ، فكان يترك البائعين والمشترين ويسعى إليها ليشتري منها اللذاذات والقبل .

وكانت كلما نصحته وأرادته على العود إلى تجارته قال لها : مالي والمال ؟ أنت مالي وتجارتي ومكسبي ، فلا تستطيع أن تفتح فمها بجواب لأن شفتيه تقيدان فمها فلا ينفتح !

***

وأصبح الرجل ذات يوم فاذا التجارة قد بارت ، وباد المال ، وذهب الأثاث ، وبيعت الجواري ، ولم يبق في يده شيء يباع ؛ فأقبل ينقض الدار ويبيع أنقاضها ، ولم يأسَ على ذاهب ، ولم يحسَّ بفقد مفقود ، فقد كان باقي الحبيبة ، ويجد في حبها غذاءه إذا جاع ، وريّه إذا عطش ، ودفئه إذا برد ، وفي وجنتيها ما يغنيه عن الأوراد ، وفي ثناياها بديلا من اللآلئ ، وفي ريقها عسله المصفّى ، وخمره المعتق ، ومن ريحها عطره الفواح ، وفي صدرها دنياه وآخرته ، ويرى الدار الخالية معها قصراً عامراً ، والصحراء روضة مزهرة ، والليل المظلم معها نهاراً مضيئاً ...

وأثمر الحب وجاء الحصاد ، ولكنه قد خالف موعده ، فلم يجيء في الربيع الطلق ، ولا في الصحو الجميل ، بل قدم في الشتاء الكالح ، والأيام القاتمة الدكناء أيام الفقر والعوز ؛ وأخذها المخاض فجعلت تتلوى من الألم على أرض الحجرة ، وما تحتها إلا حصير تقطعت منه الخيوط ، وفراش بلي وجهه وتناثر قطنه حتى اختلط بالتراب ... وطال عليها الوجع وهو واقف أمامها يحس أن ألمها في ذراعه ، وأن كل صرخة منها سكين[1] تحمى يحز في قلبه ، ولكنه لا يملك لها شيئاً ، وقالت له بعد أن عجزت عن الاحتمال :

— إني أموت ... فاذهب فاحتلْ بشيء تشتري به عسلا ودقيقاً وشيرجاً[2] ... اذهب وعجل ، فانك إذا أبطأت لم تجدني .

***

وخرج ... وصار يعدو كالمجنون ... أين يذهب والليل قد مالت نجومه ، والناس نيام في دورهم ، ولا يجد من يلجأ إليه ، فقد فصله الحب عن الدنيا وصيّره غريباً فيها ، ليستْ منه ولا هو منها ، وكذلك يصنع الحب ! وجعل يهيم على وجهه حتى بلغ الجسر ، جسر بغداد ، وكان الليل خاشماً ساكناً ، والناس قد أمّوا بيوتهم ، وأنسوا بأهليهم ، وهو الوحيد الشارد لا أهل له إلا التي خلّفها تعاني سكرات الموت ، وعجز عن إسعادها ؛ ولا دار له إلا هذه الخربة التي فرّ منها . لقد كانت هذه المرأة حظّه من دنياه ، وها هي ذي تموت فلا يبقى له في دنياه حظ ، وكانت هي نورَها فلن يبقى له بعدها من نور . وتصور الوحشة المخوفة ، والوحدة المرعبة التي سيقدم عليها إن وَلّت عنه هذه المرأة التي كان يعيش بها ولها ، ونظر إلى ماء دجلة يجري أسود ملتفاً ببرد الليل ، فأحب أن تواريه أحشاؤه ، وتراءى له الموت حلواً فيه متعة اللقاء ، وأنسة الاجتماع ...

وعاد فذكر آلام الحبيبة وانتظارها ، وعجزه عن معونتها وإسعادها ، فتوجه إلى الله ودعاه من قلبه صادقاً مخلصاً وقال : « يارب ، إني استودعتك هذه المرأة وما في بطنها ... » ، وهمّ بالقاء نفسه في الماء ، وفكر في الموت فوارت صورته أحلام الحب وصوره ، ولم يعد يرى إلا هذه الهوة التي سيتردّى فيها ، وتسلق درابزين الجسر فأدركته حلاوة الروح فراح يتصور برودة الماء ويفكر في الموت هل يأتيه سهلا هيناً ، أم هو سيذيقه العذاب ألواناً ، وحاول أن يتذكر ما سمع عن الغرقى وهل يختنقون عاجلا أم يبطىء عليهم الموت ، وذكره هذا العذاب بعذاب الله يوم القيامة ، أليس الله قد حرّم الانتحار ؟ أليست هذه النفس ملكا لله وحده أودعها جسده أمانة ليستردها متى شاء ليست له هو ولا يملكها ، وليس هو الذي خلقها وأبدعها ، وذكر أنه توجه لله واستودعه حبيبته فكيف يلقى الله آثماً ويسأله عونها وحفظها . وتنبه إيمانه فتردد ، ووقف ... ثم عاوده التفكير في حياته بعد اليوم ، وكيف تكون إن ذهبت منها متعة الحب ، فرجع إليه يأسه وقنوطه وعزم عزماً مبرماً على الموت ، وأغمض عينيه وخفق قلبه من هول ما يقدم عليه ، وكاد يقفز ولكن ... ولكن يداً لم يطق لها دفعاً ، ولم يملك معها حراكا أمسكت به ... ذلك هو صوت أخذ أذنيه من بعيد ، ثم امتد حتى بلغ الأفق الذي أطلّ منه الفجر والأفق الذي انغمس فيه الليل ، ثم غمر النهر والشاطئين والمدينة ... فأحسّ به يشرق على نفسه كهذا الفجر فيبدد ليلها ، ذلك هو صوت المؤذن ، ينادي في صفاء الليل وإصغاء الدنيا ، أجلّ وأجل نداء اهتز به هذا الفضاء ومشى فيه : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله » .

وسمع : « حي على الصلاة ، حي على الفلاح » فرأى فيها مجد الآخرة بالعبادة ، ومجد الدنيا بالنجاح ، وصبت القوة والعزم في أعصابه فعدل عن الموت ، وأقبل يسعى فيما جاء له ، ولكنه لم يجرؤ (على هذا كله) أن يعود إلى الدار ، وحدثه قلبه أن

(١) السكين مذكر وحكى فيه التأنيث

(٢) دهن السمسم معرب شيره وعامة الشام ومصر تسميه اليوم السمج

الفتاة قد ماتت ، فمضى على وجهه تقذفه قرية فتتلقاه قرية ، يضيفه الناس ، وقد كان في الناس سلائق العرب وآداب الإسلام : يضيفون الغريب لا يسألونه من هو ولا يبتغون منه أجراً ولا شكراً ، وجعل يطوى الأرض والأرض تطوى صحائف عمره ، حتى حطّت به النوى في خراسان .

ولقى من عرفه فيها ومدّ إليه يده مُسْعِداً ومعيناً فعاد إلى تجارته ... وجعل يفكر لما استقر به المنزل في داره وامرأته والشك يَخِزُ في قلبه ، ويكتب الكتب يسأل عنه وعنها ويستنجد ، ويلح ويتوسل حتى كتب ستة وستين كتاباً[1] ، ولم يرجع إليه جواب فأيقن أنها قد ماتت ...

وأثرى وامتلأت يده بالذهب ولكن قلبه ظلّ خالياً من الحب . وما كان يوسع فيه الأسى مكاناً لحب جديد ، فكان كلما احتواه العشيّ منزله ، وأغلق عليه بابه جفا عالم الناس وراحت روحه تسبح في عالمه هو ، عالم ذكرياته وماضيه الذي أحبه وافتقده ولم يجد منه بديلا ، فيشعر بحرارة تلك القبل ويسمع وسوستها ويلمس دفء ذلك العناق ، ويستروح نسيم تلك الدار التي كانت جنة وارفة الظلال ، فيها الروح والريحان وفيها من كل فاكهة زوجان ، فصيّرها الحب قاعاً صفصفاً ... ولكن تلك الخربة أحب إليه من هذا القصر الذي يعيش فيه اليوم وحيداً لا يؤنسه فيه إلا الذهب ...

وتصرّمت السنون ، وتشابهت خالية فارغة حتى أقامت بينه وبين ليلة المخاض حاجزاً من الأيام سمكه ثمان وعشرون سنة ، وهبّت على عمره رياح الخريف ، فذوى غصنه ، وكاد يدركه الجفاف ، فأفزعه أن يموت بعيداً عن بغداد وعن داره التي ثوت فيها الحبيبة ؛ فباع كل ما يملك بعشرين ألف دينار من الذهب واشترى قماشاً وبضاعة حملها إلى بغداد ، وسار في قافلة له ضخمة يؤم دار الوطن ... ولم يكن له من أمل إلا أن يقيم بهذا المال قبراً ضخماً للحبيبة ويجعل فيه له مكاناً ، ولكن الدهر لم يُبلغه حتى هذا الأملَ ، فقد خرج على القافلة اللصوص . فنهبوها ، وقتلوا من فيها ، ولم يتركوا منهم أحداً ...

***

ونهض من بين الموتى ، وسار على رجليه وقد تبلّد ذهنه من عظم الفاجعة حتى ما يقدر على الحزن . ومشى حتى حاذى النهر ، وجعل يمر على مغارس النخيل ، ومشارع المياه ، ومنابت الورد والفل ، وهو سادر ساهم ، كأنما يمشي في حلم ، قد ماتت في نفسه كل رغبة إلا الرغبة في الموت ... وماذا بقي له في الحياة بعد ما فقد الحب وفقد المال ؟ ولكنه ليشأ أن يموت إلا في داره ولم يرد أن يضمّ عظامه إلا الثرى الذي ضمّ أعظم الحبيبة ، حتى يجاورها في الموت كما جاورها في الحياة ، وتحامل على نفسه وقام يجرّ رجليه جراً ، وكلما دنا من بغداد وأحسّ ريحها انتعش واشتد ، وعاش بذكريات الحب الذي ذهب ولم يبق إلى عودته سبيل ، وآنسه أن يرى مرة ثانية الديار التي شهدت صور هذا الحب ، ولكنه أعيا أخيراً وسقط على الشاطئ ولم يعد يستطيع الحراك ...

وجعل يفكر تفكيراً مبهماً ملتاثاً يقطعه الجوع الذي يفري أمعاءه ، والتعب الذي يهدّ عظامه ، فيرى أنه كان في حلم وصحا منه ... الدنيا كلها حلم كاذب : الحب ، والمال ، والصحة ، والسعادة ، والمجد ... لا يخلد شيء من ذلك ولا يبقى ... لا يبقى منه إلا ذكرى تبعث ألماً ، وتثير حسرة ، وتحرق القلب ، وتمنى أن لو كان خلق فقيراً منفرداً ، ما عرف لذة الألفة ، ولا متعة الغنى ، وعادته فكرة الموت التي كانت مرت بذهنه منذ ثمان وعشرين سنة ، ولكن دينه منعه أن يختم حياته بهذه الخاتمة البغيضة وأن يجمع على نفسه شقاء الدنيا وعذاب الآخرة ، وهبت عليه نفحة من نفحات الإيمان فاستراح إليها ، وذكر أنه استودع فتاته الله ، ولا تضيع عند الله الودائع ، وأن وراء هذه الأحداث حكمة بالغة ، وقدراً حكيما . فاطمأن إلى حكمة الله وسلم أمره إليه ووجد لهذا الاطمئنان راحة وشبعاً ...

وسمع صوت بوق يرعد على حاشية الأفق فنظر فإذا (زلال[1]) ضخم قد أقبل عليه ، فلما حاذاه أشار ونادى ، وسأل صاحبه أن يحمله إلى بغداد ، وكان فيه أمير كبير ، ولكن (الديمقراطية) كانت شعار العرب ، وكانت سليقة فيهم ، لا يمنع الأمير مجده أن يقف لفقير سائل ويحمله معه فأدخله الزلال وأطعمه وخلع

(١) كذا في الأصل .

(١) كلمة عباسية مولدة معناها السفينة الحربية .

عليه . ولم يُسائله عن خبره ، لأن النوم قد غلب عليه فهجع كالقتيل قبل أن يسأل وقبل أن يجيب .

ولما أفاق كان المساء قد حلّ ، وكانت بغداد قد بدت ، وسربت الزوارق والسفن على سطح دجلة الفاتن تنشد لهواً وتبتغي لذة ، وتملأ الضفتين نغماً سائغاً ، وحباً وعجداً ؛ وترنحت القصور طرباً ، وانتشت الرياض أنساً ، وتعانق النخيل وتشاكى الغرام . وتراقصت الأمواه من دجلة وتناحت بالحب ، وسكرت السفن وهامت ، وسدرت بغداد في نشوة الظفر ، وكانت بغداد هي الدنيا وكانت دارة الخلافة ، وكانت عاصمة الأرض ، وكانت منبع العلم والفن ، ومثابة الغنى والترف . وكان فيها الصلاح وفيها الفجور ، وفيها الخيرات وفيها الشرور ، وفيها من كل شيء ... وكذلك تكون الدنيا !

وكان دجلة يسير مزهوّاً طرباً . فقد بدأ سيره منذ الأزل ، ورأى الحكومات تقوم وتقعد حتى ملّ قيامها وقعودها ، وشهد من بأساء الحياة ونعيمها ما زهّده في نعيمها وبؤسها ، ورأى الأنام حتى كره مرأى الأنام ، ولكنه لم ير أياماً أحلى ، ولا مجداً أبق ، ولا ناساً أنقى وأتقى ، من تلك الأيام وناسها ...

وجاز الزلال بتلك السفن والزوارق الحالة السكرى كأنه البطل القوي يمر بالحسان في يوم عرس ، فاجتمع على الصفحة الحب والحرب ، والعز والهوى ، هذا يمثله زلال القائد ، وتلك تمثلها زوارق العشاق ، وكان يمضي إلى غايته مسرعاً كأنه يسابق شعاع الشمس إلى الأفق الزاهي ، وكان هو أيضاً شعاعة من الشمس التي أضاءت الدنيا في هاتيك الأيام ، فأشرقت على القلوب عاطفة وجمالا ، وعلى العقول علماً وكمالا ، وعلى الإسلام عظماً وجلالا ، وعلى الناس كلهم حضارة وتمدناً وسلاماً وأمناً ، وضوّأت لهم طريق المجهول ، وشقت لهم السبيل الموصلة إلى تحقيق المثل العليا في المجتمع البشري ، تلك هي شمس بني العباس إذ كان بنو العباس سادة الأرض .

وأنزله الزلال على الجسر ، حيث قام تلك الليلة ، فأعاده الجسر إلى ماضيه ، فأحسّ بأن هذه السنين كلها لحظة واحدة ، وأنها صفحة قد سقطت من سفر حياته ، فاتصل ما قبلها بما بعدها ، ورأى الناس من حوله فهمّ بأن يسألهم درهماً يشتري به عسلا ودقيقاً وشيرجاً لامرأته التي أخذها المخاض ، وأسرع يريد أن يدركها قبل أن يشتد بها الألم ، ثم انتبه فرأى هذا الحجاب الصفيق من الزمان يقوم بينه وبينها ، ثمان وعشرون سنة ليست يوماً ولا يومين ... دهر طويل ولد فيه ناس ومات ناس ، عمر كامل ... فتهافت وخمدت هذه الشرارة من الأمل التي أضاءت في نفسه ، وسار محطما مكدوداً ، يبصر الوجوه من حوله فيراها غريبة عنه لا يعرفها ، ويرى المسالك والدروب فيفتش عن ذكرياته فيها فلا يجدها ... حتى بلغ الدار ونظر فاذا الخربة التي خلّف فيها الحبيبة قد صارت داراً فخمة على بابها الجند والشاكرية فوقف ينظر إليها من بعيد ... هذه داره التي رجع اليها ليتخذ لنفسه من ثراها قبراً قد أنكرته وأعرضت عنه . لقد عاد غريباً في بيته ، منكراً في بلده . إنه ميت يمشي بين الأحياء . لقد بحث عن أثر واحد من دنياه التي كان يألفها ، فاذا كل شيء قد تبدل ، فلا الوجوه بالوجوه ، ولا الأمكنة هي الأمكنة : فياويح الزمان كيف صنع ذلك كله ! هذا الجبار المخيف الذي يفعل الأفاعيل ، ولا يحس به أحد ولا يبصره ولا يلمسه بيده ... ثم استغفر الله وأناب إليه ، إنه هو الفاعل المدبر ، فلا الزمان ولا الأحداث بقادرة على شيء ، إنه هو وحده الذي يصرف الأكوان .

وولى ليعود فيضرب في الأرض حتى يموت ، فما يبالي الآن أين يدركه الموت بعد أن حرم آخر أمانيه ، وهي أن يواريه الثرى الذي وارى جسد الحبيبة ، ولم تسيل من عينه دمعة ، ولم يتحرك لسانه بكلمة وداع ، ولم يفكر في شيء فقد تواردت الآلام على قلبه حتى صار هو كتلة من الألم جامدة تصمي قلباً ، وتتابعت عليه المصائب حتى صارت حياته كلها مصيبة ... ويئس من السعادة حتى ما عاد يفكر فيها ، أو يؤله فقدها ، وتلفت ليودع المكان الذي اصطفاه من دون الأمكنة ، وأودعه أعز شيء عليه : حبيبته وذكرياته ، ويشمله بنظرة فاذا هو يرى دكان بقال كان يعرفه لا تزال قائمة على العهد بها ، كما يقوم الطلل البالي في المدينة العامرة ، فأسرع إليها ...

وكان فيها شاب حدث علم منه أن أباه البقال مات من عشرين سنة ، وأن الدار لابن داية أمير المؤمنين المأمون وصاحب بيت ماله ، وأن لهذا الرجل قصة عجباً ، فقد كان أبوه من سراة التجار ،

الغازي مصطفى كمال

بحث وتحليل للدوافع النفسية التي رفعته إلى الزعامة

للأستاذ أحمد رمزي بك

[إن من السهل على المرء أن يعمل من أن يفكر ، وإذا فكر فمن أصعب الأمور أن يجعل عمله خاضعاً دائماً لما أوصله إليه فكره] . «جوته»

عند اقتراب نهاية هذا العام يكون قد مضى على وفاة مصطفى كمال ثمانية أعوام ، خرج منها العالم من حرب عالمية طاحنة ، وتمخض فيها بالتغييرات والانقلابات الكثيرة . وكلما مرت الأيام تمثلت إلى شخصية الغازي كأنموذج لكلمة جوتة الخالدة : إذ هو من الأفراد القلائل في الشرق الذين عملوا بعد تفكير طويل ، وأخضعوا أعمالهم لفكرتهم الأولى ، ولما لازمهم التوفيق في جهادهم ، لم تسكرهم نشوة الظفر ولا شغلتهم مظاهر السلطان عن فكرتهم التي بدأوا منها وأخذوا بها ، ولذلك جاءت حياتهم العامة صورة لما انطبع في أذهانهم من أفكار وآمال كبار .

إن الزعيم المجاهد والجندي المنتصر قد أصبح الآن في ذمة التاريخ ؛ ولن يضيرنا اليوم أن نعرض لشيء من حياته وأعماله وخدماته ، فلو كان حيًّا يرزق لقيل لنا إننا نتملقه أو نتملق بلاده وشعبه ولاتخذ بعض الناس ذلك للقيل والقال ، أما وقد خفت ذلك الصوت الهادئ النبرات الذي كنت تسمع له رنيناً عند ما كان يخطب بالمجلس الوطني الكبير بأنقرة ، وأغمضت العينان اللتان كانتا تشعّان نوراً وبريقاً ، فقد أصبح في وسعنا أن نقول ما نعتقد وأن نكشف الستار عما نعلم وليست لنا غاية سوى إرضاء الحق .

* * *

بين ٢٥ إبريل و ٩ ديسمبر ١٩١٥ كانت حملة الدردنيل حيث دارت رحى الحرب على روابي شبه جزيرة غاليبولي ، وكانت معاركها محط أنظار العالم إذ كانت سلسلة من التجارب للقيادة التركية بل كانت أكبر من ذلك للجندي المقاتل . كانت

فاشترى جارية أولع بها وعكف عليها حتى افتقر ، وجاءها المخاض فذهب يطلب لها شيئاً فلم يرجع ، وأسعفها البقال أبو الفتى ، وولد للرشيد مولود فطلبت له المراضع فلم يقبل ثدي واحدة منهن فدل على الجارية فقبل ثديها ، وصارت ظئره وكان المولود هو أمير المؤمنين المأمون .

ويسمع الرجل القصة فيحس أن الأرض تدور به ، فيمر بآلاف الصور والألوان ، والشكوك والأماني ، ثم يسأله . وأين أم الولد ؟ ويحسب أن هذه اللحظة التي انتظر فيها الجواب ، قد طالت حتى غدت دهراً ، وأنه كالقائم ليسمع الحكم عليه بالبراءة أو القتل . فيقول الفتى : إنها باقية تغدو إلى دار الخليفة أياماً وتكون مع ابنها أياماً ، ولكنها لا تزال حزينة لم تمسح آلامها الأيام ولم ترقأ لها دمعة .

ويدعه الرجل ويركض إلى الدار يشعر أنه يمشي في الزمان ، يعود أدراجه إلى لياليه الماضيات ، إلى عهد الحب الضاحك ، ولياليه المترعات بالقبل . لقد نسي في هذه الخطوات كل ما لقي من شقاء ، وما حمل من ألم ، وامتلأ قلبه شكراً لله الذي استودعه حبيبته وما في بطنها فما ضاعت عنده الوديعة ، هذه الحبيبة التي طالما بكاها يحسبها ميتة وجاء ليدفن جسده الواني بجانب رفاتها ، فاتحة تنتظره لتمنحه عطرها وسحرها ونحرها ، وهذا الجنين الذي خلفه على باب الموت شاباً ممتلئاً قوة وأيداً ومالا ومجداً ...

ووصل إلى الشاب ، فقال له : ما تبتغي ؟

فخفق قلبه ، وتلاحقت أنفاسه ، وهمت مقلتاه ، ولم يجد ما يمهد به الحديث ، فقال له :

— أنا أبوك !

ونظر الشاب شاكا ، وقال له : اتبعني ، فاتبعه فاجتاز به صحناً بعد صحن ، حتى انتهى إلى مكان الحرم فأقامه أمام ستارة ، وذهب ليسأل أمه ، ودلّ الرجل قلبه على أن الحبيبة وراء الستارة فناداها ، وإذا الستارة تهتك ، والمرأة تثب إلى عنق الرجل ، تبكي وتضحك وتضحك وتبكي وتقول ما لا تدريه ...

ويدير الشاب وجهه فما يحسن به أن ينظر إلى أبويه وهما يعيدان عهود الهوى والشباب ...

علي الطنطاوي

له مدرسة قاسية واستحاناً وعراً أظهرا مزاياه وصفاته ، فى معركة أنافارطة أوقفت هذه الصفات الخلقية الكامنة فى نفسه الهجمات البريطانية المتراصة المتتالية المتتابعة كأمواج البحر .

وكان ذلك تحت قيادة رجل نحيف الجسم عصبى المزاج امتاز على أقرانه الضباط بعناده وقوة شكيمته : ذلك هو الأمير الاى مصطفى كمال الذى أقدم فى ساعة من ساعات التاريخ الفاصلة لحمل عبء أفدح المسئوليات التى تواجه رجل الجندية ، إذ كان الموقف جدىّ الخطورة ، وكانت القيادة فى قلق من انهيار الجبهة إزاء هجوم بريطانى حاسم ، ولم يكن الوقت يتسع للمداولة وتبادل الرأى فلم يكن لديها سوى رأيين يتلخصان فى نعم أو لا ، فنعم كانت قبول الهزيمة وما يتبعها من تراجع وفشل وسقوط العاصمة والفناء ، و«لا» كان معناها قبول المعركة فى ظروف سيئة ولكن فيها الثبات والعناد والمصادمة والمقارعة حتى يتم النصر .

وكان القائد الأعلى للجبهة الجنرال فون ساندوس الألمانى وهو من خيرة ضباط السوارى فى الجيش البروسى قد وجدها كبيرة عليه أن ينطقها لما تحتمله من المجازفة فى دخول معركة تبدو خاسرة ، فهو ليس من أهل البلاد ، وهو يعلم جيداً أن الفن العسكرى والعبقرية لا يجديان شيئاً أمام ساعات التاريخ الفاصلة ، وأمام القرارات الحاسمة ، التى لا تصدر عن إرادة القائد الحربى ، إلا بعد أن يدعمها الشعور القومى الواعى ، والإحساس الوطنى الوافر الذى يربط المرء بأرض بلاده وتاريخها ويجعله يشعر بأخطار المستقبل وبالمسئولية أمام الوطن ، وفى مواجهة الأجيال القادمة .

ولذلك ألقى العبء والمسئولية على عاتق مصطفى كمال ، فتولى المعركة وأعلن للقائد الألمانى « أن الهاجمين لن يقتحموا الجبهة وأنه يتحمل وحده مسئولية ونتائج المعركة التى تبدو خاسرة » .

واعترف مصطفى كمال بأن الذى دفعه لذلك هو إيمانه بأن الجنود الذين تحت إمرته سيبذلون ما فى طاقة البشر للقيام بواجبهم وأنهم سيقبلون التضحية بمجرد اشتباك القتال وأنهم سيثبتون فى مراكزهم ، وحقت فكرة قائدهم فقد ظهر جندى المشاة فى الصورة التى رسمها فى مخيلته مصطفى كمال . وهكذا ذاقت تركيا طعم النصر بعد سلسلة طويلة من النكبات والهزائم . فكانت وقفة رائعة لفتت الأنظار إلى عبقرية هذا القائد حتى إنه عند زيارته لألمانيا بادره الامبراطور غليوم عند ما قدم إليه بقوله : « الفرقة التاسعة عشرة أنافارطة » ونظرة عابرة تريك ماهى هذه الوقفة .

إن القطع العسكرية التى فى الخطوط الأمامية ذابت تحت نيران المدفعية وقذائف الأسطول ونيرانه المركزة ، ولكن لم يتراجع أو يفر فرد واحد منها ، بل فنيت بأكملها حتى آخر جندى فيها ، وكانت عظيمة فى موتها واستشهادها لأن الطلقات التى استمرت تقذف بها أوقفت الهجوم فى أشد الأوقات وأنقذت الجبهة إذ لم يطأ العدو خنادقها إلا بعد أن لفظ آخر جندى بها أنفاسه الأخيرة .

أما الفرق التى تجمعت فى الخطوط التالية فقد كانت تسير إلى الموت وقد ظهر تصميم القتال على وجوه أفرادها ، كانت رائعة فى مواقفها وفى ثباتها وهى تتراص ، كانت قد تحملت نيران العدو وقذائفه ثلاثة أيام بلياليها ، لم تؤثر فيها أيام الانتظار ولا ساعات السير على الأقدام من موقع لموقع . كان يخيل إلى من رآها أنها قد أتت من المؤخرة من ساحة العرض أو احتلت مراكزها بعد راحتها وكأنها لا تعلم بما يدور حولها أو كأنها لم تر بعينها سوق الموت القائمة .

نعم كانت معنوياتها وأعصابها باقرار كل من كتب عن هذه الحرب من النقاد الحربيين من البريطانيين والألمان وغيرهم ، فوق المستوى العادى للبشر فى الساعة التى رأت قائدها العنيد يباشر القتال بنفسه ويصدر أمره مقتحما أول ربوة واجهته ليقودها إلى النصر ، ولذلك جاء هجوم هذه الوحدات كأعصار يدك كل شىء ، ولم يكن الخصم ينتظر دفاعاً مثل الذى لقيه فى أول يوم ولا هجوماً كهذا ، وعليه ولى الهاجمون الأدبار وأخلوا المواقع التى احتلوها متجهين إلى البحر ، وفى مساء آخر يوم للمعركة جاء قائدهم من جزيرة لمنوس على باخرته من الجنوب ليشهد الشراذم تتجمع على الشاطئ لركوب القوارب ، كانت بقايا الوحدات المنظمة التى قذف بها على الجزء الغربى من غاليبولى : وكان أن اتخذ الأتراك اسم المعركة لقباً لأبطالهم فخلفوا بانافارطة واحتفلوا بها واتخذوا يومها عيداً لهم يعيدون فيه ويشيرون إلى أن بعثهم من جديد كأمة بدأ من ذلك اليوم .

واختتمت معركة أنا فارطة بأيامها ولياليها والقمر شاهد عليها بالنصر الذى جعل أعظم قوات العالم تبدّل وتغيّر فى خططها الكبرى واستراتيجيتها ثم تقرر إخلاء شبه الجزيرة ، وانتهت بذلك حملة الدردنيل بعد أن فتحت الطريق للقواد والنقاد والكتاب الحربيين يضمون المؤلفات عن تاريخها وأيامها ومواقعها فإذا نحن أمام مكتبة فيها عشرات المجلدات بمختلف لغات العالم ما تقرأ مجلداً بالانجليزية حتى تراه مترجماً للتركية وترى مثيله فيها ، وما تجد مؤلفاً بالألمانية حتى تجد ما يساويه بالفرنسية ، استعرض كاتبوها مواقع البر ومعارك البحر وحدّدوا سير القتال ومواضع الزحف وانتقدوا عمل الأساطيل كما انتقد رجال البحر عمل رجال الجندية ، وتبين من أقوال الاختصاص أن مشاريع اقتحام المضايق درست وبحثت ووضعت تفاصيلها منذ عام ١٩٠٦ ، وضع المؤلفون كتبهم وتداولها الناس ولكن رجلا واحداً بقى صامتاً لا يتكلم هو مصطفى كمال صاحب المواقف الحاسمة وبطل أنافارطة ، إنه لم ينسب لنفسه شيئاً بل قال : « إن ماحصل عليه من مجد ليس من عمله ؛ إنه نتيجة كفاح الجندى التركى وحده» ذكر مراراً ذلك وأعاده وكرره .

لقد انتهت المعركة التى جعلت منه بطلا عالمياً وخفتت أصوات المدافع وزمجرة البطاريات السريعة الطلقات وزالت الأخطار عن عاصمة آل عثمان فأقيمت الأفراح فإذا بأنصاف الرجال يدقون الطبول ويرفعون أرباع الرجال إلى السماء ، وإذا بهم يتقاسمون الأسلاب ويفرحون بما لم يفعلوا وينسبون أمجاد الغير لأنفسهم ، ووقف القائد العنيد يدخن سيجارته بهدوئه وصمته وقد اتجهت أنظاره إلى آفاق بعيدة ، فما الذى أوحت به إليه تلك الأيام الحالكة السواد وهذه المعارك الفاصلة ، وماذا تركت فى نفسه من دوافع وما حملت إليه من أفكار ؟ لقد كانت إقامته وقتئذ بمركز قيادة الفرقة التاسعة عشرة بشبه جزيرة غاليبولى ، وكان يقضى الأيام والليالى فى وحدة شاملة وقد تجمعت أفكاره واتجهت إلى مستقبل هذا الوطن الجريح ، وقد اخترقت عينه النافذة ما وراء الحجب فإذا هى تبصر ما يحيط ببلاده من الأخطار وما يحاك حولها من مكائد وما يرسم ويدبر من خيانات ، وما يرقبها من أهوال ونكبات .

فى لحظات التركيز والوحدة استرد مصطفى كمال ثقته فى نفسه وإيمانه فى أمته ، فأيقن أن الأقدار قد حمّلته رسالة مقدسة هى إنقاذ تركيا من مصائبها . ويحدثنا عن نفسه فى تلك الفترة الرهيبة فيقول : أخذت تنتابه الأفكار وترتاده الآمال الكبار وهو يحركها فى بوتقة التحليل مستعيناً بمنطقه الجبار فيفرز الغث من السمين ويطرد الهواجس والأحلام والخيالات الوهمية من نفسه بل يجتهد أن يحرّر عقله منها ، وأخيراً وجد ضالته فقال : « إن الامبراطورية التى أقامها بنو عثمان من بقايا ملك آل سلجوق وقدّر لها أن ترى فتح القسطنطينية يتحقق على يديها ، هذه الدولة التى سبّبت المتاعب والمخاوف لأوروبا وشعوبها ودانت لها الدنيا ستة قرون لم تعد شيئاً مذكوراً بعد الضربات التى تلقتها من أعداء الداخل والخارج ، فكل عمل يبذل لإنقاذها سيذهب هباء منثوراً » .

واضطربت نفسه أمام نكبات تركيا المتتالية وحروبها التى لا تنقطع فأراد أن يجد لذلك مبرراً من دروس الماضى متسائلا لماذا كانت بلاده من بين بلاد العالم هى التى توجّه إليها الضربات والهجمات من كل جانب ؟ حاول أن يجد تفسيراً لذلك فقال : « إن الأعلام الحمراء التى ظهرت فى آسيا وحملها جيوش المسلمين إلى أوروبا حتى ظللت أسوار فينا ، وقفت هناك وقفتها الأولى وكان ذلك فى القرن العاشر من الهجرة ، كما وقفت من قبل أعلام المروية والإسلام[1] فى تود وبواتييه من أرض فرنسا فى القرن الأول قبل الوقفة الثانية بتسعة قرون » .

« إن العهد الذى لقى فيه المسلمون أولى هزائمهم وفترت فيه معاركهم الزاحفة الفاصلة قد حرّك روح الانتقام لدى أعدائهم وأن القاعدة أن كل هجوم تعقبه فترة هدوء واستجمام للمهاجم ولكن هذا لا يمنع أن كل تصادم يحرّك تصادماً وكل هجوم يعقبه هجوم مضاد ، فالهزيمة التى أوقعها شارل مارتل بجيوش المسلمين فى فرنسا كانت فاتحة الهجوم المضاد الذى شنّته أوروبا على العرب فى أراضيها والذى دام ثمانية قرون حتى قذفت بهم

(١) لا يدهش القارىء من ذكر فتوحات العرب فقد أوردها بالنص فى خطبته وتحدث عن هذه النظرية مراراً وهو من أقدر الرجال فى استخلاص الحقائق من التاريخ .

على الشاطىء الأفريقي ، ولم تقف عند ذلك الحد ، بل استجمعت قواها في القرنين التاسع عشر والعشرين وأخذت تطارد العرب في ديارهم وتنتزع من أيديهم الجزائر وتونس ومراكش ومصر وطرابلس ، وما ملاحقة هـذه الشعوب والعمل على إفنائهم وإسكان الأوروبيين بأراضيهم سوى حلقـة من حلقات ذلك الصراع الصليبي الذي بدأ من تور وبواتييه أو قل هو الثمن الذي يدفعه العرب نتيجة لهزيمتهم في قلب فرنسا » .

« أما الأتراك العثمانيون فقد أثاروا الهجوم المضاد عليهم من يوم هزيمتهم تحت أسوار فينا إذ تلاحقت عليهم النكبات في خلال ثلاثة قرون ، فرض عليهم القتال فيها ولم تبق أمة من أمم أوروبا إلا اشتركت وساهمت فيه بحق وبغير حق ، بل وافتخرت بما سفكت من دماء المسلمين وبما أفنت من رجالهم وبما مزقت من أشلائهم وبما خربت من مساجدهم وآثارهم وقبورهم . لقد تجمعت على الأتراك القوى من كل جانب وحاصرتهم في البر والبحر ولم يبق بعد طول العراك سوى هذه البقعة من الأرض يرفرف عليها علمهم : فما قيمتها للجندي المقاتل الذي أغمض عينيه للمرة الأخيرة أمام نظر قائده ؟ هي له الموئل والمآل فهل هي النهاية كما كانت للأجداد بداية ؟ » .

في ليلة من ليالي أنقرة بقصر نشان قايا أخذ الزعيم يشرح هذه النظرية أمام جمع التف حوله فقال : « إن المعارك التي خضنا غمارها بالأمس والتي سندعى لغمرها بالغد هي حلقة من حلقات هذا الهجوم المضاد القاسي الذي شنه الغرب علينا وأثاره الترك بزحفهم إلى فينا كما أثاره العرب بفتوحاتهم الأندلسية ودخولهم إلى قلب فرنسا » .

قال إنه بعد معارك الدردنيل وفي وسط حرب الاستقلال كان يحدث نفسه قائلا : « لقد فرض علينا الأعداء أن نفني لأننا كنا أقوياء وخيل إليهم أن جهادنا التاريخي قد انتهى وأننا نعالج سكرات الموت في الموقع الأخير the hast fost فهل تنفخ في البوق النغمة الختامية على أجساد آخر المقاتلين من بقايا تلك الملايين التي جادت بالأرواح في حومة الوغى وتطوى تركيا وتحمل إلى اللحد كما فنيت وطويت آشور وروما وكما زال فرعون وثمود وعاد » .

حدث عن نفسه قائلا إنه في أسوأ المواقف كان يشعر « بأن هذا لن يكون وأن بلاده ستبعث قوية وستحيا إلى الأبد » .

وهنا التفت وصوب نظراته النافذة وخرج كلامه قوياً فقال « إن إطلاق النظريات الإنشائية والآمال والأفكار الكبرى سهل على النفس ولكن التمسك بها والسير على ضوئها صعب ، لأن هذا يستلزم أولا إخراج ما يلابس هذه النظريات والمبادئ من عوامل السلبية وما يلازم الفكر البشري من عناصر الضعف والتردد ، إن الأفراد الذين ينصبون أنفسهم لخلاص الوطن يجب عليهم أن يتجردوا من أشياء كثيرة عزيزة عليهم » .

ذلك مبدؤه الذي نادى به في تلك الليلة ؛ وتفسير ذلك أن معارك الدردنيل أصبحت له قوة دافعة بل كانت حداً فاصلا في حياته إذ أمضى الشهور ونفسه متوثبة متطلعة تحت تأثيرها ، ولكن ما لبث أن واجهتها الحقائق : عادت إليه ذكريات الهزائم التتالية وأخذت تبدو إليه العاصمة بمظاهر التفكك والانحلال الخلقي وعوامل الهدم وتأثرت نفسه لما استعرض تاريخ الحروب والمعارك التي كسبها مقاتلة الترك ثم أضاعها رجال السياسة والمواقف التي اكتسبها هؤلاء في ميادين السياسة وأضاعها رجال الحرب في ميادين القتال .

وبرزت تركة الرجل المريض المحتضر على حقيقتها محملة بالأعباء والمصائب وبدا المستقبل قاتماً مظلماً كالليل . تلك هي النواحي السلبية التي أخذت تساوره في الأيام التاريخية التي وقعت بين حملة الدردنيل وعودته من ألمانيا ، قال « إنه وجد أمامه بصيص نور من أنوار الأمل هو ذلك الضياء الذي ارتسم على وجه الجندي التركي في معركة أنافارطة حينما لقي الموت وهو قرير العين ، كانت ابتسامة تحمل الخلود للأمة التي أنجبت هذا المقاتل الذي لقي ربه وهو ضاحك بعد أن أدى واجبه نحوها » .

وكتب مصطفى كمال فقال : « لو قدر لهـذا الجندي أن يجد القيادة الحازمة ، ولو لمس الإخلاص الذي يشع من قلبه فوجده في قلوب الساسة والقادة لغير وبدل ما كتبه التاريخ في عصور الانحطاط ولأعاد مرة أخرى عهد الدماء القوية التي حملت الأعلام الحمراء إلى قلب أوربا رفرفت النصر في كل معركة دخلتها . إنها ليست أخطاء الشعب إنها خطايا القادة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه »

على هامش النثر :

شعر من الجزيرة

للأستاذ سيد قطب

١ — الهوى والشباب : أحمد عبدالغفور عطار

٢ — الشاطىء المسحور : محمد عبده غانم

هذه تحية لا نقد ؛ فتلك بواكير يقظة فى قلب الجزيرة ، ما أجدرها منا بالتحية ، لا لأنها لا تثبت للنقد ، ولكن لأن التحية هنا أليق !

وهما ديوانان من الشعر ، والشعر فى هذه الفترة يعانى أزمة ، فبين مئات الكتب التى صدرت فى فترة الحرب بوفرة ، لم تصدر إلا دواوين قليلة تعد على الأصابع ، وذلك موجب آخر من موجبات التحية !

شعر من الحجاز وشعر من اليمن . . وقد اعتدنا أن ننتظر الشعر فى لبنان ومصر ، وفى سورية والعراق ، وربما فى تونس ، فقد نبغ فيها الشابى شعلة تضوى ثم تخبو سريعاً ، فها هو ذا الحجاز ، وها هى ذى اليمن تساهمان أيضاً بنصيب ... فما أجدرهما بالتحية !

وكم ذا يسرنى — كمصرى مشتغل بالنقد الأدبى — أن أستقبل هذا النتاج ، وأن أضم بدىّ على طاقة من تلك الزهرات من مشرق الشرق العربى إلى مغربه ، فمصر كثيراً ما تتهم بالتقصير فى حق جيرتها ، فهى فى عرف بعضهم غافلة أو متغافلة عن خطوات النهضة الأدبية فى البلاد الشقيقة .

وهذا ظلم لمصر ، فما أحسبها قصرت فى التنويه بأى أدب ، ولا بأى أديب وصلت إليها أنباؤه ، وإنى لأعلم أن صحافتها تفسح لأبناء البلاد العربية ما لا تفسحه لبنيها ، وتؤثر بريد البلاد العربية على بريدها ؛ ولا تجد فى نفسها غضاضة ولا حسداً أن يتفوق بعض أبناء الشقيقات على بعض أبنائها ؛ وإنها لحفية بكل ما يصل إليها من هناك . أما الذى لا يصل فليس الذنب ذنبها ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

وقبل أن يلومنا الإخوان على إهمالنا لنتاجهم ، يجب أن يسألوا أنفسهم : هل بلغنا نبأ ذلك النتاج ؟ هل هو يباع فى أسواقنا ؟ هل أعلن عنه فى صحفنا ؟ هل وصلتنا صحفهم التى أعلنت عنه ؟ وإلا فما نجد سبيلا إلى الحصول على كتب مما يصدر فى كثير

ولم يدر مصطفى كمال فى تلك الفترة أن ابتسامة الشهيد التى رآها هى نفحة من نفحات الإسلام يرزقها المولى لمن ذاق حلاوة الإيمان فى قلبه ولقى الموت وهو يؤدى فرض الجهاد ابتغاء مرضاة الله ، وفى سبيل الله وعملا بما أمر به الله . فهى ليست دليلا على تفوق العنصر بل هى آية من آيات الرسالة المحمدية للناس كافة

إننى أكتب هذه الكلمة بعد إقامة سبع سنوات بتركيا وبعد أن التقيت بمئات من المسلمين من أنحاء الأرض منهم من جاء من كاشغر عاصمة التركستان الصينية ، ومنهم من كان فى القرم وفى قفقاسيا وعلى نهر الفولجا : لأقرر أن الثورة الكمالية فى عنفوان شدتها ، والثورة الشيوعية بأساليبها التى لا يقرها العرف وكلاهما فى إبان القوة والبطش لم يستطيعا التغلب على الإسلام فى البلاد التى رسخ فيها ، وإن الذين خُيِّل إليهم أن سلطان الإسلام قد زال من الأقاليم الآسيوية الخاضعة للسوفييت وأن ظله قد تقلص من تركيا واهمون : وسيبعث الإسلام ودين محمد فى تلك الجهات ويعود على صورة تبهر العالم .

إن أقوى التعاليم الدنيوية والنظريات لا تلبث أن تهوى وتذبل مع الزمن ، أما قواعد الثورة المحمدية الكبرى التى أودعت فى تعاليم الإسلام وأتت بها النبوة فباقية مع الزمن فى أفئدة الشعوب والجماعات والأفراد وحتى الذين خرجوا عليها وشقوا لأنفسهم الطريق بعيداً عنها ونابذوها العداء لا يلبثون أن يعودوا إليها ، وما مصطفى كمال إلا واحد من هؤلاء ستكشف الأيام الكثير عن روحه الحائرة وسنعود يوماً لدرس هذه النفس المتمردة من ناحية الإيمان والعقيدة وكل آت قريب .

(يتبع)

أحمد رمزى

من البلاد العربية إلا أن نقوم برحلة إلى هنالك ، وهذا ما لا يستطاع لكل فرد في كل آن .

لقد أعلنت مرة في « الرسالة » — وهي مقروءة في كل بلد عربي — أنني في حاجة إلى كل ديوان شعر وإلى كل قصة أو أقصوصة طبعت في شتى البلاد العربية ، لأن لدى بحثين معطلين عن : « الشعر المعاصر » وعن « القصة الحديثة » ، ولأنني كرهت أن أقتصر على الشعر المصري وعلى القصة المصرية ؛ وقلت : إنني لا أطلب « هدايا » ، ولكنني أطلب هذه الكتب محوّلا بثمنها على البريد ، ذلك أنني لا أجدها في السوق المصرية ، ولا أجد لي سبيلا إليها . فما ذا حدث ؟

حدث أن تفضل بعض الشعراء والأدباء في فلسطين والعراق والحجاز بإهداء دواوينهم وقصصهم إليّ ، ولكن البقية لم تصلني كما أن سورية ولبنان لم يسمعا النداء ، وهمس بعضهم في أذني : إن هنالك موجدة على مصر لأنها تصدر أدبها ولا تستورد آدابهم وهذا غريب . . فلقد اشترينا هنا كل ما صدر إلينا من هناك ، ومن سورية ولبنان خاصة ، وإنني لأكره هذه النغمة ، إنها نغمة مقيتة — وفي جو الأدب خاصة — فكلنا شركاء في النهضة ومصر تؤدي واجبها الذي فرضته عليها الظروف ، وإنها لتجد نفسها سعيدة حين تنهض شقيقة لها أو أكثر بالمشاركة في العبء فهو عبء أثقل من أن تنهض به وحدها ، وما يجوز أن ترتفع هذه النغمة المقيتة في بلد من البلاد الشقيقة

فلندع هذا كله لنعود إلى تحية الشاعرين والديوانين

* * *

هنالك شبه عجيب بين النسيج الشعري في كلا الديوانين ، فهو نسيج رقيق هفهاف ، والشعر الحجازي القديم مشهور بالرقة والعذوبة ، والشعراء النزلون قد نشأوا هناك ، فديوان « الهوى والشباب » ليس غريباً في بيئته ، فالظاهر أن الرقة والعذوبة ما تزالا كامنتين — تحت الشظف — في مدائن الحجاز . أما « الشاطئ المسحور » ، فيبدو أنه يستمد عذوبته ورقته من خصب اليمن وروائها التاريخيين ، فالبذرة هناك كامنة ما تزال .

وإذا كان في شعر الأستاذ « عطار » جزالة تمازج الرقة في بعض الأحيان ، فإن في شعر الأستاذ « غانم » انسياباً رسيولة دائمين في جميع فصول الديوان ، ولكنهما قريب من قريب .

وإليك قطعتان من الديوانين :

يقول صاحب « الهوى والشباب » بعنوان « وعود الغانيات » :

وعودك يا غادتي جنـــة ... ولكن إلى اليوم لم تصدقِ
كأنك لم تبصري عاشقاً ... ألح به الحب لم يشـــفق
يعيش بمـــآله كاسفاً ... ويغـــرقه الهم للمفرق
يســـير بلا وعيه ناجياً ... إليك ... إلى بيتك المغلق
عساه يرى طيفك المشتهى ... يلوح له كالسنا المشرق
ويسمع صوتك جم الحنان ... يغرد كالبلبـــل الطلق
فيحســـبه أغنيات الخلود ... ترف على قلبه الشـــيق
فهلا رحمتِ الفؤاد الحزين ... وأنجيته من ردى محدق
وهلا أنلت الرضى مغرماً ... يصافق الوداد ولم يعذُق !
بهجرك أمسى يذوق اللظى ... ولو أنت وفّيت لم يوبق
ولولاك ما اجتر آلامه ... وأمسى صريع الهوى المطبق
وعاش على أمل شـــارد ... يلوح كآل الفلا المرهق
فإنك إن تكذبيه الوعود ... فليس سوى يأسة المُعْنِق
ألا فاصدقي مرة وامنحي ... حبيبك رشف الجنى الرّيق
فقد صرعته أكف الخطوب ... وما انفك عن حبه الموثق
وصفق كفيه غل الأسى ... فضاع حجاه مع المنطق

ويقول صاحب « الشاطئ المسحور » بعنوان « أنين » :

لست تمشين على الأرض ولكن فوق قلبي
تلك أنغـــام خطىً قد مازجت روحي ولبي
ثقّلي الخطـــو كما شئت ولا ترثي لصب
ضـــاق بالآلام والآمال في بعد وقرب

ما براك الله مثل الناس من لحم وعظم
أنت إشـــعاع من القدس اقلبي المستحم
جمّع الله بك الألوان في أبدع نظم
وأرانا كيف يجلو آية الحـــسن الأتم

كم تعرضتُ لعينيـــك لكي أحظى بنظره
وتمنيت بأن أرشف من ثغرك قطره
وتحايلت لكي ألمس من جعدك شعره
وتلويت لكي أقطف من وردك زهره

وتمرّين كأني لست موجـــوداً بقربك

وكأنى ما ملأت الكون أشعاراً بحبك
لا تغضى الطرف عنى وانظرى نحوى بربك
أنا والله الذى ترضين لو عشت لقلبك

أنا لحن فى فم البلبل ترويه الرياح
ورحيق فى كؤوس الحب تحسوه الملاح
وشعاع فى الثرى النعسان يزجيه الصباح
وشذا ما منه للهائم بالروض براح

لستُ أدرى ما الذى تخشين منى لست أدرى
وأنا الشاعر لا أرضى لخلق بضر
أنا لولا لوعتى صنتُك فى قلبى كسرّى
ومنعتُ القلبَ أن يخفق حتى لا تضرى

كم يقاسى الشاعر الهائم فى دنيا الجمال
كم له من أنة حمراء فى سود الليالى
ودموع دونها لولا الهوى رطب اللآلى
قد جرت فوق الروابى وتلاشت فى الرمال

أنت يا رب الذى أوجدت فينا الشاعرينا
وجعلت الحب للشاعر فى دنياه دينا
كلما لاح جميل جن بالشوق جنونا
ومضى ينفث فى آهاته الداء الدفينا

لست أدرى لِمْ خلقت الحب يا رب غشوما
وملأت القلب بالإحساس والوجد جحيما
لو محوت الحسنَ ما ذقنا به الذل الأليما
أو مسخت القلب صخراً عاش كالصخر كريما

أنت قد سلّحت يا رب الحسان الفاتنات
بلحاظ فاتكات وقدود طاعنات
وحرمت القلب فى بلواه من درع الثبات
فهو بين الضرب والطعن على وشك الفوات

* * *

هاتان القصيدتان تمثلان فنى الشاعرين كل التمثيل ؛ وحينما يبدو من الأستاذ « عطار » ميل إلى اتباع « عمود الشعر العربى » يبدو من الأستاذ غانم ميل إلى الرومانتيكية « الإبداعية » ثم يجتمع كلاهما على الرقة والعذوبة كما رأينا .

وقد أثبت القصيدتين كاملتين بما فيهما من مواطن الضعف ومواطن القوة فى الشعور وفى التعبير ، لأننى أرمى إلى التعريف بالشاعرين . ولقد يدهش الكثيرون أن يجدوا مستوى الأداء قد وصل إلى هذا الحد فى الحجاز وفى اليمن ، لأننا حديثو عهد بالنهضة الأدبية فى هذين البلدين الكريمين .

وقد يكون الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار معروفاً للقراء فى مصر ، لأنه كتب فى بعض صحفها ، كما نشر من قبل كتابين : « كتابى » و« محمد بن عبد الوهاب » ، والأول مجموعة مقالات لها قيمتها فى الأدب والاجتماع والسياسة . والثانى دراسة طيبة لحياة المصلح الكبير « محمد بن عبد الوهاب » ، فكتبت عنهما الصحف المصرية مثنية مشجعة .

أما الأستاذ محمد عبده غانم ، فيسرنى أن أقدمه شاعراً عذب الإيقاع ، رقيق العبارة ، حلو الروح

وإنه ليسرنى أن أجمع بين الأدباء والشعراء فى جميع البلاد العربية ، وبين قراء « الرسالة » فى مصر وفى هذه البلاد مرات بعد مرات ...

سيد قطب

ظهرت حديثاً :

الطبعة الجديدة من كتاب :

فى أصول الأدب

فى ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط

يطلب من دار الرسالة

ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٣٥ قرشاً

مجالس الأدب:

فى إحدى ليالى رمضان

للأستاذ كامل كيلانى

[تثبت فيما يلى نص الحوار الطريف الذي دار بين ثلاثة من أدباء مصر وشعرائها فى إحدى ليالى رمضان كما أذاعته محطة الشرق الأدنى]

١ — المعرى يصوم ويصلى

عبد الغنى : بمناسبة شهر رمضان ، هل كان كبار الشعراء — يا أستاذ كامل — يصومون ؟ وهل كان أستاذك المعرىّ يصوم ؟

كامل : ويُصلّى أيضاً .

عبد الغنى : إذ يقول فى الصلاة يا أستاذ كامل .

كامل :

« وأعجز أهل هذى الأرض غاوٍ أبانَ العجز عن خمس فُرضْنه »

ولكنه يريدها صلاة خالصة لوجه الله ، وإلا حلّت اللعنة على صاحبها .

عماد : إذ يقول ؟ يا أستاذ كامل .

كامل :

« إذا رام كيداً بالصلاة مُقيمها فتاركُها عمداً إلى الله أقربُ »

ولن يصح تديُّنُ الإنسان — فيما يرى — إذا اقتصر على الصلاة والصوم ، دون أن تخلُصَ نفسه من أرجاسها ، وتكفَّ أذاها عن الناس .

عبد الغنى : وما الذى يحضُرُك من شعره يا أستاذ كامل ؟

كامل :

« ما الدِّين صومٌ يذوب الصائمون له

ولا صلاةٌ ، ولا صوف على جَسدِ

وإنما هو ترك الشر مطرحاً

وتَفضُك الصدر من غل ومن حسد »

٢ — عقيدة المعرى

عماد : إذن يا أستاذ كامل كيف تعلل اتهامه فى دينه ؟

كامل : لم يتهمْهُ فى دينه إلا قاصرٌ أو مُقصِّرٌ فى درسه ، أو راغبٌ فى إذاعة مبادئ الشك على لسان غيره ، أو متسرِّع فى فهم مراميه ، أو رجل يُحسن الظن بآراء بعض الباحثين ، فلا يُعنّى نفسه بمناقشتها وتمحيصها ، أو ببغاء يُردد ما يسمع بلا تعقل .

عبد الغنى : فكيف تعلل قوله :

فى القدس قامت ضجة ما بين أحمد والمسيح

هذا بناقوس يدق وذا بمئذنة يصيح

كلٌّ يعلل دينه ياليت شعرى ما الصحيح؟ »

كامل : إن السخرية واضحة فى الأبيات كما ترى ، ولعلكما تذكران الآية الكريمة : « كل حزب بما لديهم فرحون » كما تذكران الآية « وإنّا — أو إيّاكم — لعلى هُدًى أو فى ضلال مُبين » . ولن يدور بخلد كائن كان : أن الرسول (ص) كان شاكًّا فى أنه على هدى ، وأن مُجادليه فى ضلال مبين .

عبد الغنى : فكيف تعلل اضطرابه وتناقضه فى شعره يا أستاذ كامل ؟

كامل : لم يضطرب أبو العلاء ، ولم يتناقض . ولكن اضطرب فى فهمه المتسرعون وتناقضوا ، ورأى بعضهم — فى مرآة نفسه المضطربة — صورته ، فحسبها صورة المعرى ، وهو منها برىء .

على أن المخلصين فى فهمه ، ممن رموه بالتناقض ، نسوا الحكمة التى درسوها فى مستهل حياتهم ، وهى : « لكل مقام مقال » فكان مثلهم مثلَ من يُنست إلى رجل : فيسمعه مرة يقول لولده مُغرياً : « لا شك عندى فى أنك باذلٌ فى دروسك يا ولدى قصارى جهدك وسيكون لك إن شاء الله شأن عظيم . ولتبلغن بجدك أعلى المراتب وأسماها » .

ثم تسمعه مرة أخرى يقول له :

« لن تنجح يا ولدى ما دمت مستسلماً لكسلك ، متمادياً فى غيك ، مسترسلا فى تهاونك » أو يقول له غاضباً ثائراً : « والله لا أفلحت أبداً » .

فيزعم أن الوالد متناقض مضطرب ، لأنه يتمنى لابنه النجاح مرة والاخفاق مرة أخرى ، وينسى أنهما أسلوبان متباينان يهدفان — على اختلافهما — إلى غرض واحد : هو حفز الولد إلى الخير . وكلاهما يعبر عن حب أبيه لولده وحرصه على نجاحه .

* * *

وما أدرى — أيها الصديقان — كيف يشك فى صدق إيمان هذا الرجل ، دارس متعمق حصيف ، يجمع بين الإنصاف والإحاطة والفهم ؟

كيف يشك فى حسن عقيدة من يقول :

أقر بأن لى رباً قديراً ولا ألقى بدائعه بجحد

أو يقول ويصل إلى ذروة الإبداع :

تعالى الله ، وهو أجل قدراً من الإخبار عنه بالتعالى

إلى آخر ما يقول ، فما أنتما بحاجة إلى أن أتلوَ ما يزخر به شعره ونثره من الآيات الدالة على سلامة عقيدته ، وخلوصها من الشكوك والأوهام .

٣ — الفطرة المؤمنة

وقد علمتما — يا صاحبىّ — أننى عرضت لهذا الموضوع فى مناسبات عدة لا سيما فى رسالتى الغفران والهناء ، وكتابى على هامش الغفران ، وحديقة أبى العلاء وربما أنجزت كتاب « عقيدة المعرى » وأعددته للطبع بعد قليل .

حسبكما الآن قوله فى رسالة الغفران ، ولعله — على وجازته — أبرع ما رأيت فى هذا الكتاب ، لأنه يقرر فى بلاغة علائية فاتنة : أن الإنسان مؤمن بغريزته ، وأن الله سبحانه قد وهبه فطرة مؤمنة تعصمه — إذا لاذ بها — من الزيغ والإلحاد ، كما يعصم الحصن الحصين من يلوذ به ويحميه من المغيرين وإليكما ما قال :

« والتأله (يعنى : الإيمان بالله) موجود فى الغرائز ، يكون لهنّ كالألجاء الحرائز (يعنى : كالحصون الحصينة كما تعلمان) » وبهذه الجملة البارعة يلتقى المعرىُّ بما أبدعه لامرتين فى قصيدة « الخلود » وهى من غرر الشعر الفرنسى وروائعه .

كما يلتقى مع شكسبير فى قوله : « كل ما نلقاه حسنٌ إذا حسنت خاتمته » . فيقول :

« إن ختم الله بغفرانه فكل ما لقيته سهل »

لا أدرى كيف يجرؤ منصف على اتهام مثل هذا الرجل الطاهر فى عقيدته . ألا ما أصدق المثل :

« رمتنى بدائها وانسلت »

ورحم الله ابن الرومى القائل :

ما نخدت نارى ، ولكنها ألفت نفوساً نارها خامده
قد فسدت فى دهرنا أنفس تستبرد السخنة لا البارده

٤ — شيطان الشعر

عبد الغنى : هل تحسن نظم الشعر وأنت صائم يا أستاذ عماد ؟

عماد : كلا فإن سطوة الجوع تكفل هدم كل بيت من الشعر أحاول بناءه . أو لعل شيطان شعرى يسجن فى شهر رمضان مع سائر إخوانه الشياطين ، وإن كنت أنا نفسى مثلت دور شيطان فى هذا الشهر المبارك .

عبد الغنى : وكيف كان ذلك يا أستاذ عماد ؟

عماد : فى ليلة مظلمة من أحد رمضانات الحرب ، التى حرموا فيها النور عدت إلى منزلى متأخراً وكنت مرتدياً بذلة سوداء ، وبينما أنا واقف أمام الباب والشارع مقفر أقبل شخص

موازين البـــلاغة
بين القدامى والمحدثين

للأستاذ كامل السيد شاهين

— ١ —

وبعد جهد جاء الأستاذ العماري يتمسح في الآية الكريمة « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » زاعماً أنه نظير قول الآخر في تشبيه البنفسج بأوائل النار ... الخ . غافلا أو متغافلا عن قدر التشبيه وما وراءه ، مدعياً أن أمره واقف عند حد الدقة والانحناء -- قال — والاصفرار ، ولو كان الأمر كما رجم لكان منزلة التشبيه في الآية منزلة التشبيه بالسنجل والزورق الفضي ، وقلامة الظفر ، مما يظهر فيه النحول والتقوس .

فالمعنى الذي تمتلىء به النفس عند رؤية القمر آخر الشهر هو الفناء بعد الامتلاء ، وذلك أن القمر نزل منازل مختلفة منذ طلوعه فهو قد زاد نوره قليلا قليلا حتى استكمل ثم تناقص قليلا قليلا حتى كاد يذهب ضياؤه ، مثله كمثل العرجون يكون حياً في نفسه مُمداً شماريخه بالحياة ثم يدب فيه اليبس والفناء فيرجع ولا غناء فيه ولا حياة . فوجه الشبه بعد التصوير يرجع إلى قلة النفع والاضمحلال واقتراب النهاية ، وإنما يهدى إلى ذلك سلامة الفطرة وحُسن التذوق[1] .

ولا أترك القول في التشبيه المحسّ حتى أضع يد الأستاذ على الميزان الذي يعرف به قيم التشبيه جمالا وغثاثة فقد ترك القدماء لنا ميزانا شاملا أملته طبيعتهم الأعجمية المتفلسفة ، وقديماً تحدى بعض الأدباء ابن الرومي ببيت ابن المعتز في الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وقوله في الآذريون ، وهو زاهر أصفر في وسطه خمل أسود :

(١) وفي اللسان : أنه — أيضا — نبت أبيض مستدير ، يابس — إذ ضرب من الكمأة قدر شبر أو دون ذلك ، وهو طيب ما دام غضا .

أقول : لعل التشبيه في الآية بأحد هذين وليس بعرجون النخلة . وهو أقرب إلى حقيقة الصورة وأظهر في إبراز المعنى

من بعيد ، ولكنه حين لمحني تباطأ في مشيته ثم وقف متردداً ، فأدركت أنه خاف مني . وأنه حسبني أحد شياطين الظلام ، فدفعني حب العبث إلى أن أمثل دوري إلى النهاية . فتقدمت نحوه خطوتين فاضطرب وكاد يولي هارباً ، ولكن إلى أين ؟ وقد علم سلفاً أني أدركه بوثبة شيطانية واحدة . وكان منزله لسوء حظه مقابلا لمنزلي ، فجمع قواه واندفع يجري من أمامي في سرعة الريح وهو يتلو آية الكرسي في صوت عال محاولا إحراق بها ، وأنا أشير إليه إشارات تزيده رعباً ، حتى أدرك باب منزله فارتمى فيه على وجهه .

كامل : وماذا كان وقع آية الكرسي في نفسك يا أستاذ عماد؟

عماد : برداً وسلاماً على خلاف عادتها مع الشياطين .

عبد الغني : إن هذه الحادثة لا تخلو من فائدة ، فهي تعلل لنا الحوادث التي يؤكد بعض الناس أنهم رأوا فيها الشياطين رأي العين

ولكن قل لي يا عماد هل تعتقد حقاً أن لكل شاعر شيطاناً يوحي إليه الشعر ؟ كما كان يعتقد حسان بن ثابت إذ يقول :

ولي صاحب من بني الشيصبان فطوراً أقول وطوراً هوه

عماد : هذا بالطبع أمر لم يقم عليه دليل مادي ، ولكن مما لا شك فيه أن الشاعر عند ما ينظم قصيدته يكون مدفوعاً بقوة غير عادية ، فقد يعود إلى قراءة هذه القصيدة في وقت آخر فيراها أعلى من مستوى تفكيره ، ويعجب من نفسه كيف تيسر له نظمها على هذه الصورة . والشاعر الذي أعنيه هنا هو الشاعر الصادق الذي لا ينظم إلا متأثراً بفكرته ، فالتأثر هو الذي يوحي إليه ما يحسبه من وحي قوة فوق قوة البشر ، كالشياطين أو الملائكة . أما الشاعر الكاذب المقلد فشعره من وحي القردة لأنها أطبع المخلوقات على التقليد ، ويجب عليه إذا ذكر وحيه أن يقول قال لي قردي لا قال لي شيطاني .

عبد الغني : هذا حق والشعراء القردانية كثيرون في كل عصر لسوء الحظ .

(البقية في العدد القادم)

كامل كيلاني

كأن آذريونها والشمس فيها كاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

فذهب القدماء « أن الغرض من التشبيه هو مضاهاة أبيض على أبيض ، وأصفر على أصفر ، ومستدير على مستدير ، ومستطيل على مستطيل ، مما يُرى بالعين ، ولا فضل فيه للشعور والتخيل ، وقصارى ما يطلب من الشاعر فى التشبيه أن يثبت لك أنه رأى شيئين فى شكل واحد ومن لون واحد كأنك فى حاجة إلى ذلك الإثبات الذى لاطائل تحته ، فأما أنه أحسّ وتخيل وصور إحساسه وتخيله باللفظ المبين والخواطر الذهنية الواضحة فليس ذلك من شأنه ولا هو مما يدخل فى باب البلاغة والشاعرية .

وهذا خطأ بعيد فى فهم الوصف والشعر يخرج بهما عن القدرة النفسية إلى القدرة الإلهية التى تحكى المناظر الظاهرة كما تحكيها المصورة الشمسية .

وليس يعنيك أنت أن يكون الشاعر صحيح العين مطلعاً على المرئيات المتشابهة ليتصل وجدانك بوجدانه ، ولكنما يعنيك منه أن يكون حياً يشعر بالدنيا ، ويزيد حظك من الشعور بها[1] » ويجلى لك بما اضطرب فى نفسك من أحاسيس وخواطر لا تستطيع لها كشفاً ولا بياناً وتلك مزية الشاعر فى كل زمان ، وما كان للقدامى أن يخلطوا فى الحكم لولا أنه التبس عليهم ملكة الشعر بملكة الوصف ، وأن هذه شىء وتلك شىء آخر . « فمن وصف وشبّه ولم يشعر فليس بشاعر ، ومن شبه وأبلغك ما فى نفسه بغير وصف مُشَبِّه[2] » .

ذلك هو ما جر عبد القاهر وغيره إلى سوء الاختيار وطول الإطراء لسخافات هؤلاء الوصافين المصورين ، وإلا فأى جمال وروعة وأى وجدان أثاره الشاعر بقوله فى صفة مِنْسَر البازى :

فى هامة غلباء تهدى مِنسرا كعظفة الجيم بكف أعسرا
يقول من فيها بعقل فكرا لو زادها عيناً إلى فاه ورا
فاتصلت بالجيم صارت جعفرا

وتقرأ عبد القاهر ، فإذا كلام جميل ، وتطريز بديع أملاه تركيب الرجل العقلى الفلسفى .

ويجرى فى هذا الميدان قوله :

كأنا باسط اليد نحو نيلوفر فرند
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

وقول الآخر :

لم أر صفاً مثل صف الرُّطّ تسعين منهم صلبوا فى خَطّ
من كلّ عالٍ جذعه بالشطّ كأنه فى جذعه المشتطّ
أخو نعاس جدّ فى التمطّى قد خامر النوم ولم يَغْطّ

كل هذه صور ولكنها ليست شعراً ولا تقوّم فى باب الشعر بقليل ولا كثير ، ولا يحسب لصاحبها وإن رقت صناعته بين الشعراء حساب ، وكل ما لها من حسن مرجعه دقة الريشة ، وقوة الملاحظة . أما الشعور ، أما الإحساس ، أما الإثارة التى تهز الوجدان ، فما أبعدها عن هذه الصور الميتة الجامدة .

والفرق بين الشعر والوصف ، كالفرق بين الحياة والموت فالذى يشعر إنما يعطيك صورة تدب الحياة فى أعطافها ، والذى يصور يعطيك تمثالا لا حركة فيه ولا حياة .

— ٢ —

يقول الأستاذ الخولى فى قول المتنبى :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

كلامهم فى أن الغرض من التشبيه بيان أن وجود المشبه ممكن مرفوض لأن الأديب لا يضع نفسه موضع المناقش بل يفرض نفسه على الناس . وإنما دعاه إلى هذا التخيل أن الناس ينكرون المزايا ، فقال إن لذلك نظائر . اهـ

أما أن الشعراء يفرضون أنفسهم فذلك ما لا يسع أحداً التشكك فيه ، ودونك فافتح صحيفة من ديوان ، أىّ ديوان ، فإنك واجدٌ أكثر من مثال :

قال أبو العلاء فى رثاء الشريف الموسوى :

ذهب الذى غدت الذوابل بعده رُعْشَ المتون ، كليلة الأطراف
طار النواعبُ يوم فادَ نواعيا فندبنه ، لموافق ومُنافِ
أسفٌ أسفّ بها وأثقل نهضها بالحزن فهى على التراب هواف

فهذا الذى ادعاه من اختلاج أواسط الرماح وكلال أطرافها ، وهذا الذى ادعاه من أن الغربان قامت نوادب للشريف ، وأنها لحزنها ثقلت حتى كادت تخالط التراب ، وما زعمه بعدُ من أن الغربان رثى الشريف بقصيدة على رَوِىّ القاف .

(١) ، (٢) ابن الرومى : حياته من شعره . الاستاذ العقاد .

هذا كله إدعاء سوّغه أن الشعراء يفرضون أنفسهم على الناس ، فليس فى حسابه أن يقول له القوم كذبت فأقم الدليل على ما تقول . فإذا قال المتنبي أنت أريت على الأنام وفقتهم ، فما عليه بأس ، وليس لأحد أن يقول له هذا غير ممكن أو ممكن حتى يقال إن قوله : فإن المسك بعض دم الغزال لإثبات هذا الإمكان ولكنه حين يقول ذلك يؤكد دعواه ، ويقرّب المعنى الذى قصد إليه ، وإلا فما هو بالذى يحتاج أن يثبت أن الأمر ممكن ، لأن للشاعر أن يدعى ما شاء وليس لأحد أن يحصى عليه ، فاقبض على هذا الأصل وَعِهْ ، وتبينه ، فلن تجد تناقضاً ولا غرابة ، وجُمَّال الرد فى هذا : إن الشعراء لهم أن يدعوا ما شاء لهم الخيال ، وإن التشبيه هنا للتأكيد والتقوية والإيضاح ولا يفوتنى أن أنبه الأستاذ أنه ذكر أن مَرَدَّ الغرابة فى كلام الأستاذ الحولى أمران ، ثم ذكر أحدهما ولم يذكر الآخر ، فلعل فى هذا المنسيّ الإلزام والافحام ، والإقناع والإمتاع ! .

— ٣ —

يقول الأستاذ الحولى :

(ا) هم يقولون إن بعض التعابير أوضح من بعض ، فعلم البيان هو الذى يبين درجات الوضوح » .

فيقول الأستاذ المهارى « ليست وظيفة علم البيان البحث فى درجات الوضوح » ثم يقول « هذا العلم له أبحاث كثيرة ، قد يكون البحث فى وضوح الدلالة أقلها » .

فأى تهافت هذا وأى اضطراب : علم البيان لا يبحث فى الوضوح والخفاء ، علم البيان يبحث فى هذا ولكن ليس هذا وحده .

تعال — يا أستاذ — أين الخطأ فى قول أستاذ الجامعة ؟ هل عبارته تفيد أن علم البيان لا يبحث إلا فى أمر الوضوح والخفاء كما تزعم ؟ . إنه يقول « علم البيان هو الذى يبين هذا » نعم هو ذاك فليس ذلك موكولا إلى علم المعانى أو علم البديع ، ولكنه لم يقل إن هذا كل مباحث علم البيان يا دقيق ! !

(ب) ويقول أستاذ الجامعة :

« والجملة تتكون من أجزاء سليمة ، وهذا ما يكفله علم النحو » فيزعم الأستاذ المهارى أن النحو « يبحث فى سلامة التراكيب » و« أن الذى يبحث فى المفردات إنما هو علم التصريف »

فليفرخ روعك ياصديقى ، فان الكلمة فى الجملة لها ناحيتان : ناحية هيئتها من مادة وترتيب حروف وضبط وهذه للصرف ، وناحية آخرها — إذ هى فى جملة يا فتى ! — وهذه للنحو .

وأستاذ الجامعة حين كفل النحو بذلك إنما أراد النحو والصرف ، قال فى الشافية : واعلم أن التصريف جزء من النحو بلا خلاف بين أهل الصناعة[1] » .

(ج) ويقول الأستاذ الحولى :

« والجملة قد تعرض عرضاً متنوع الأنماط » فيصل الأستاذ المحقق إلى أنه كان يجب أن يقول : ومعنى الجملة ... إلى آخره .

وذلك لا يخفى على غبى ولا لبيب .

يقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ، ليل تهاوى كواكبه

فقرر أستاذ الجامعة أن الشاعر قصد وراء التصوير وهو مداخلة السيوف ومزايلتها والتماعها فى الهجاج ، معنًى نفسياً هو الحيرة والاضطراب فتشبيهه هذه الحالة بالليل تتساقط كواكبه مرشد قوى إلى هذا الخوف الذى يتملك المحارب عند الالتحام وهياج الشر وانعقاده على رءوس الفرسان :

ولكن الأستاذ المهارى ينكر هذا ، وما كان لينكره لولا أنه يقتفى أثراً مُضلّلاً ، فيثقل ما كتب عبد القاهر حرفاً حرفاً ، ويسير وراءه إصبعاً إصبعاً ، ومع هذا فإنى أناشد شاعريته أيهما أليق بالشاعر : أن يكون مصوراً نحاتاً كما يريده القدامى أم يكون حسّاساً للظلال التى تحيط بالرئى مُشعراً لك بها فى وضوح وتقاء كما يريد النقاد المحدثون ؟

أحسب أن حكم الشاعرية لا يَعْضُدك ولا يسْعُدك وحسبى بها حَكَما .

فاضل السيد شاهين

المدرس بالمدارس الأميرية

(١) ج ١ ص ٦ طبعة محمود توفيق .

وفاء الشعراء . . .

مسرحية فى فصل واحد

مهداة إلى صاحب السعادة عزيز أباظه باشا

بمناسبة زواجه الجديد السعيد

[كان زواج الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا ، بعد أن عاهد روح زوجه الأولى على ألا تشغل امرأة بعدها بيته ولا قلبه ، حديث الأندية الأدبية حيناً من الدهر ، ثم انتقل الموضوع من الحديث إلى الكتابة ، فنظم فيه الشعراء ونثر الكتاب واطلع صاحب (الأنات الحائرة) على بعض ما كتب فسمح بنشره واعداً أن يعقب برأيه على جملة ما ينشر]

المقدمة

الأشخاص :

١ — عبد الرحمن صدقى : صاحب ديوان (من وحى المرأة)

٢ — عزيز أباظه باشا

٣ — سعاد) رفيقات مخلصات لزوجه زينب الفقيدة

٤ — وداد) رحمها الله

٥ — خالصة)

٦ — نعمى)

٧ — روح المرحومة زينب المستحضر

عبد الرحمن صدقى :

عزيز ، فأين العهد أوثقت عقده
وأرسلته يدوى فيختال من عُجب ؟
أحقاً ، عزيز ، قد تزوجت بعدها
أأنسيتَ بيتاً ظل أنشودة الركب ؟
(سألقاكِ لم يُشغل فراغ تركته ... ببيتى، ولم يُعلا مكانك فى قلبى)

سعاد :

عزيز ، لفقدها ذو اللب طاشا ... وكان وفاؤك العجب انتعاشا
إذا قاسوا وفاءك قلتُ : حِلّا ... وإن ذكروا شبهك قلت: حاشا
أتبغى بعدها أنساً بزوج ... وتبنى بعد ما رحلت فراشا

وداد (تنادى سعاد مستفهمة) :

سعاد ؟

سعاد (تجيب) : قد تزوج

وداد : لا

سعاد : وحقك

وداد : كيف ؟

سعاد : لا أدرى

فأين العهد ؟ وبئس العهد ... زال كنشوة الخمر
أكان العهد مصنوعاً ... بقصد رياضة الشعر ؟ !
وما عهد الرجال لنا ؟ ... فكلهم إلى غدر
عهود دونها الأحلام ... فى إغفاءة الفجر
ستنفضها رؤى اليقظات ... عن جفن وعن فكر

خالصة :

ألا لا عهد إن غابت ... عيون الإلف فى القبر

سعاد :

ألا تعرفن قلب المر ... ء بين أصابع الربّ
يقلّبه إذا ما شا ... ء جلّ مقلّب القلب

عزيز باشا :

أيا ربّ مالى فى قضائك حيلة ... وإنى إلى الرضوان منك لأحوج
وإنك أدرى بالنوايا ، فإن أرم ... سوى شرعك الهادى فانى أهوج
فهب لى رضاك البتغى وسكينة ... لقلبى ، فلا يطغى ولا يتحرّج
لئن أنطقتنى سورة الحزن صَلّبةً ... فعقل الفتى تحت الأسى يتلجلج
وما بىَ عىٌّ عن جواب وإنما ... أرى الصمت خيراً لى إذا الحق أبلج
لئن كان شرع الله حتماً ومانعاً ... فالامرئ من حوزة الإثم مخرج
يظنون بى غير الوفاء لزينب ... ألست بأوفى اليوم ، إذ أتزوج
رأيت رسول الله لى خير قدوة ... وسنّته للعقل والفضل منهج

عبد الرحمن صدقى :

يا ليت زينب أشرفت ... من كوة الخلد البعيد
فترى العزيز وعرسه ... فرحين بالعش السعيد
أنست جوارحه بها ... وتذوقت معنى الجديد
أنجته من ألم الفراق ... وأطفأت حرّ القصيد

عزيز باشا :

يا زين قد أقمت إلا ... أن تطلى وتعودى
جودى بوجهك وافضلى ... ما بيننا بالله جودى
هل أنت راضية — أبيتى — ... عن وفائى والعهود ؟

شبح الفقيدة زينب :

وعج الرشاد بدار اللهو واللعب ... لقد تحكمت الأهواء بالأدب
كفُّوا السهام فما أصميتم أحداً ... غيرى بها ، يالها من نصرة عجب
أتمكرون برهبانية حرمت ... والجاهلية فى ظلّ النبى العربى
هل تنكرون إذن وحشية سلفت
يحدو بها الجهل قوماً فى دجى الحقب
قوم إذا مات زوج عندهم دفنوا ... رفيقه معه فى ظلمة الترب
فهل تريدون بيتاً لا عماد له ... وأى أنس ببيت موحش خرب
هل الوفاء سوى الذكرى الجميل إلى ... فعل نبيل وقصدٍ طيب الحلب

نعمى :

ما ذا تشاهد ؟ أحلام وأوهام ... أم روح زينب أم وحى وإلهام ؟

سعاد :

بل رُوحها ، جلّ باريه ومرسله ... واليوم يستحضر الأرواح أقوام
تأتى وتنطق عن علم ، وربّما ... تلوح منها لبعض القوم أجسام

وداد :

أفزينب غضبى وهـذا ... زوجها لم يرْعَ إلاّ !
أيسرها ما ساءنا ... من أجلها وتراه فضلا

سعاد :

لا تعجبى فالمرء فى الأ ... خرى يرى ما لا نرى
فلعلّ ما تأبى عوا ... طفنا يكون هو الهدى

خالصة :

يا زين لم ننكر عليه زواجه ... لو لم يكن بالعهد شد رتاجه
أوليس أجدر أن يبرّ بعهده ... من أن يعود بعهده أدراجه

شبح زينب :

ألا إن شرع الله عهد وموثق ... بأعناقكم لو تعلمون مهانق
فذاك هو القسطاس . كل أليّة ... تحيد بكم عنه فذلك موبق
ألم تحفظوا ما كان أوصى رسولكم
ولم يك يوما عن هوى منه ينطق
إذا المرء بالمكروه أبرم عهده ... فخنثٌ وتكفيرٌ أحقّ وأوثق

عبد الرحمن صدقى :

صدقت ورب البيت . ليس بممسك
على خطل إلا جهول وأحمق
وكائن تقضنا فى الحياة عزائماً ... إذا لم يكن فى العزم حزم ومنطق
جميل ثبات فى الفتى عند عزمه ... وأجمل من ذاك الصواب الموفق

سعاد :

بوركت زينب عم فضلك ... فى الحياة وفى الممات
فلأنت أفضل من عرفنا ... من نساء المكرمات
أوتيت من فصل الخطاب ... وفضل خير المحصنات

شبح زينب :

عزيز ، تمتع ما أباح لك الله ... وودّك عندى راسخ لست أنساه
عليك سلام الله فاهنأ وبورك ... عروسك فى أحلى نعيم وأصفاه
وعند إله العرش مجمع شملنا ... على خير ما يرضيه منا ونرضاه

(يتوارى شبح زينب وينشد عبد الرحمن صدقى مخاطبا عزيز باشا) :

دم عزيزاً يا عزيز فلقد ... نلت حظاً من ولاء ورشد

سعاد :

فلك التوفيق يسعى والرغد ... فى وفاء - ورفاء وولد

وداد :

عشتما فى الأمن من كيد الحسد

خالصة :

وشرور النافثات فى العقد

نعمى :

ما أنار الكون مصباح الأبد

(دمشق) **مصطفى أحمد الزرقا**

أستاذ الحقوق المدنية فى الجامعة السورية

وزارة الأوقاف

تشهر مزاد استبدال ربع أسفله دكانان ووكالة بسكة سوق الزلط رقم ٢ بباب البحر قسم باب الشعرية وقف حجازى الصياد الأهلى مساحتها ١٠ر٢٥١ م ٢ بثمن قدره ٢١٢٠ جنيه .

فعلى الراغبين فى التزايد الحضور أمام محكمة مصر الابتدائية الشرعية بجلسة ٢٤ / ١١ / ١٩٤٦ ١٩٦

قاري منى ، في إرشاد الأديب :

١ — إلى السيد محمد حسين إسماعيل في البصرة :

قصة (القاري) — يا أيها الفاضل الأديب — حق ، وهل يمنع من صحتها مانع؟ وهذا الشاعر إنما شعر في الذي كان واشتهر ، والأبيات رواها الخطيب في (تاريخ بغداد) — ج٢ ص٢٣٧ — ولم يشر إلى حكاية ، لم يزد على الرواية ، والشعر يشرح نفسه ، ولم أعثر في مصنف طالعته على حديث ذاك القاري ، «ومن هوى الصدق في قولي وعادته » ، صددت عن البناء على الوجم ، فمن يعرف من أهل الفضل ما غاب عنا فليشركنا — غير مأمور — فيما استفاد مشكوراً . وغير ضائر — ونحن في التكلم على قاري منى — أن أروي مقال ياقوت في (منى) كيما يجيء في هذه الخرفشة أو الخربشة شيء مفيد . قال صاحب (معجم البلدان) :

« منى بالكسر والتنوين[1] ... بليدة على فرسخ من مكة ، طولها ميلان ، تعمر أيام الموسم ، وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها . وقل أن يكون في الإسلام بلد مذكور إلا ولأهله بمنى مضرب . وعلى رأس منى من نحو مكة عقبة ترمى عليها الجمرة يوم النحر ، ومنى شعبان بينهما أزقة ، والمسجد في الشارع الأيمن ، ومسجد الكبش بقرب العقبة ، وبها مصانع وآبار وخانات وحوانيت ، وهي بين جبلين مطلين عليها . وكان أبو الحسن الكرخي يحتج بجواز الجمعة بها لأنها ومكة كمصر واحد . فلما حج أبو بكر الجصاص ورأى بعد ما بينهما استضعف هذه العلة ، وقال : هذه مصر من أمصار المسلمين تعمر وقتاً ، وتخلو وقتاً ، وخلوها لا يخرجها عن حد الأمصار ، وعلى هذه العلة يعتمد أبو الحسن القزويني ، قال البشاري : وسألني يوماً كم يسكنها وسط السنة من الناس ؟ قلت : عشرون إلى ثلاثين رجلا ، وقلما تجد مضرباً إلا وفيه امرأة تحفظه ، فقال : صدق أبو بكر فيما قال . وقد ذكر منى الشعراء ، قال العرجي :

نلبث حولا كاملا كله ما نلتقي إلا على منهج

(١) في الصحاح : يصرف ، وفي اللسان والتاج : يصرف ولا يصرف

الحج إن حجت وماذا مني وأهله إن مني تحجج[1] ؟ »

قلت : تلكم (منى) بالأمس ، فكيف اليوم حالها ؟

٢ — إلى السيد عدنان أسعد في الزيتون :

لاريب في أن أصل «والأدب من ذي الغيبة» هو «والأوب من ذي الغيبة » والدليل على ما ذهبت إليه أنت — أيها الفاضل الأديب — قريب وإن تباعد مني ؛ فإن الناسخ القديم البارع (سامحه الله) استبدل بالواو دالا ثم جاء الطابع فطبع . وأما بيت امرئ القيس فلا يظاهرك لكن قد يشايعني ، وقول (الملك الضليل) هو الذي ضلل ... وقوي (الغنم) عندي ، فهو لم ير الإياب غنيمة بل رضي من الغنيمة بالإياب ، ولم تكن حاله كما قال في هذه البائية :

ألم أمض المطى بكل خرق أمق الطول يلمع السراب[2]

وأركب في اللهام الجر حتى أنال ما كل القحم الرغاب[3]

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب[4]

(١) في الأغاني في أخبار العرجي وفي الكامل : (في الحج إن حجت و (الحج إن حجت) عند أشكال هذا الشاعر الغزل من أدباء عصرنا — أحسن . والبيتان في أبيات ، مطلعها :

عوجي علينا ربة الهودج إنك إن لا تفعلي تحرجي

وقد كان العرجي (غفر الله له) خليفة عمر بن أبي ربيعة في مكة

(٢) في شرح ديوانه للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب : الأمق الطويل ، واليلمع من أسماء السراب ، وفي البيت ما يسأل عنه من طريق العربية وهو إضافة أمق إلى الطول فيتوهم أنه من إضافة الشيء إلى نفسه لأن الأمق هو الطويل . وليس على ما يتوهم ، إنما هو كما تقول بعيد البعد . (قلت) : أراد (يلمع السراب ، فأشبع كما قال عنترة (ينباع من ذفرى غضوب جسرة) في طويله والفعل ينبع . وفي شرح ديوان امرئ القيس تأليف الأستاذ حسن السندوبي : (لماع السراب) والظاهر أنها رواية وجدها الأستاذ فآثرها .

ومن معاني اليلمع البرق الخلب ، وما لمع من السلاح . والخرق الأرض الواسعة .

(٣) في شرح الوزير أبي بكر : اللهام الجيش الكثير العدد ، الجر الثقيل ، القحم جمع قحمة وهي الدفعة الكثيرة من المال أو غيره ، الرغاب الواسعة (قلت) : وفي شرح الأستاذ السندوبي : القحم البضع الكثير من الأموال وغيرها .

وفي كتب اللغة التي بين يدي : القحم عظام الأمور التي لا يركبها كل أحد ، الأمور العظام الشاقة واحدها قحمة ، وربما عنى امرؤ القيس ذلك وللأستاذ السندوبي في إرشادنا إلى مراجعه في شرح (القحم) الرأي الأعلى

(٤) قال الوزير : أي أكثرت من الطواف في الآفاق حتى شق علي ذلك ، وحتى صار رجوعي إلى أهلي غانما غنيمة في ولهم .

لم تكن حاله كما قال و« لم يركب الأهوال إلا لينال الآمال[1] » فلما أخفق رضى من الغنيمة بالإياب . وكأن الغائب الآئب غير غانم أو رابح أو ناجح أو مستفيد لا تم غبطته وغبطة الأهل به . والأوبة البحت[2] أو البحتة المجردة التي تسر العائد والمنتظر إنما هي أوبة الجندي من المعركة ، من ميدان الحرب ... « ومن نجا برأسه فقد ربح » — كما قال الشاعر في صفين — أو عودة الحبيبة — كما يقول العارفون — عند المحب وعندها . والسلام .

محمد إسعاف النشاشيبي

جواب :

كتب مجهول باسم مستعار لا وجود لصاحبه ، يعلمنا أصول النقد وقواعده ... ونحن نجاهد هؤلاء الإباحيين بأقلامنا جهاداً ، نرجو عليه ثواب المجاهدين ، ولسنا ننقدهم نقداً . ثم إن النقد نحن أربابه ، ونحن ألفنا فيه لنعلم الناس قواعده ، ونتدلم على أصوله ، وما أنت منه يا هذا في قليل ولا كثير ، فانصرف رحمك الله إلى ما تفهم ، ودع النقد لأهله ، ولولا أنك كتبت في « الرسالة » ، لكان جوابك مني جواب الذي نبحني في آخر دقيقة ، وطن في أذني من شاطئ الفرات ، و(سلاماً) ! .

(دمشق) علي الطنطاوي

رأي غريب لأديب :

لبعض القراء تعليقات على ما يقرأون ، ولكن بعض الناس يرون من الغرابة أن تتتبع القارئات المقالات الأدبية بشغف واهتمام ، ويجدون ذلك دليلا على فقر صاحبته من الجمال ، لأن الجمال في رأيهم يغنيها عن هذا التتبع . هذا رأي أديب كتبه لي أحد محرري مجلة الأسبوع ، وهو رأي كما ترون غريب . فما العلاقة بين الأدب والجمال ؟ ! وهل إذا دققت المرأة فيما تقرأ وتذوقته عُدَّ ذلك دليلا على أنها ليست على جانب من الجمال تشغل به ؟ !

غريب جداً هذا الرأي في الوقت الذي تشكو فيه من أمية القراء وتطلب الثقافة للجميع ، وأغرب منه أن يكون من أديب يفهم قيمة الأدب ويعرف مقدار الثقافة !

فما رأي الأدباء في رأي هذا الأديب وفي نعيه على المرأة قراءتها للمجلات الأدبية ؟ ثم ما رأي أديب مجلة الأسبوع فيما يريد أن تقرأه المرأة وما ينبغي لها أن تكون ؟ افتونا أفادكم الله فإنه يخيل إليّ أننا لا زلنا في ظلمات !

« قارئة بالمنصورة »

من الأوائل في العلم :

نشر الأستاذ المنجد (دور القرآن بدمشق) وترجم لأعلامه سوى بضعة رجال قال إنه لم يعثر على تراجمهم :

١ — الخضر بن كامل بن سالم بن سبيع الدمشقي السروجي المعبر (لا القبر) توفي في شوال سنة ٦٠٨ على ما في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٥ ص ٣٣

٢ — أمين الدين أبو الغنائم سالم بن الحسن بن هبة الله الشافعي التغلبي الدمشقي . توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٣٧ عن ستين سنة ، ودفن بتربته بقاسيون ، وخلف ذرية صالحة أبقت ذكره . ترجم له أيضاً في (شذرات الذهب) . ج ٥ ص ١٨٤ وهو نجل الحافظ أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى ، المترجم له في (شذرات الذهب) ج ٤ ص ٢٨٥

٣ — أبو مسلم الكاتب محمد بن أحمد بن علي البغدادي . توفي بمصر في ذي القعدة سنة ٣٩٩ ، له ترجمة كذلك في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) ج ٣ ص ١٥٦

٤ — محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد العزيز البصروي . ولد ببصرى ، ثم تحول لدمشق ، واشتغل بالعلم حتى بلغ درجة الإفتاء ، توفي بدمشق في أواخر سنة ٨٧١ ، ترجم له السخاوي في كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ج ٧ ص ٢٩٥ ، وهو مذكور في ترجمة الخيضري (صاحب مدرسة القرآن المشهورة) من (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ج ٩ ص ١١٧

عبد الرحمن محمد عبد الوهاب

---

(١) من مثل أصله : من لم يركب الأهوال لم ينل الآمال .

(٢) في اللسان : وأكل الخبز بحتاً بغير أدم ، وفي الأساس : وقدم إليه قفارا بحتا لا أدم معه . وفي اللسان : القفار بالفتح الخبز بلا أدم ، والقفار الطعام بلا أدم ، يقال أكلت اليوم طعاما قفارا إذا كان غير مأدوم

كاتب العـــرائض ...

للأســـتاذ نجاتي صدقي

تذكر جميل العكرماوي بعد مضي خمس وثلاثين سنة من عمره ، أن والدته كانت تقول له في حداثته : والله يا بني لأزوجنك متى كبرت من فتاة شامية ، جسمها أبيض مثل الثلج ، وشعرها أشقر مثل الذهب ، وخداها أحمران مثل التفاح ، وكان هو يسمع كلام أمه هذا وعلى ثغره ابتسامة الحداثة البريئة .

وماتت أم جميل ، وتعاقبت السنين ، فكبر جميل ، وتخطى العقد الثالث ، وأناخ الدهر عليه بأثقاله وهمومه ، فكان من البائسين المعدمين ، يضطر إلى ممارسة كتابة العرائض كوسيلة للمعاش ..

ورأس ماله في هذه المهنة : صندوق خشبي صغير ، وكرسي أصفر ، ومحفظة كرتونية ، وقلم حبر ، ودواة ، والقليل من الأوراق ، ونسخة من قانون العقوبات الجديد الذي نسخ قانون الجزاء العثماني القديم .

وبعد أن عمل في هذا الحقل عشر سنوات ، تمكن من ادخار بعض المال بفضل صفقات خاصة عقدها مع السذج من الفلاحين ، وكان يخفي هذا المال في حزام لا ينفك يطوق خصره ليلا ونهاراً ... وذات يوم راح يخاطب نفسه : أنت وحيد يا جميل ، وعليك أن تجد سبيلا قويماً لتتدبر فيه أمر ما ادخرته من مال ... هيا افتح لنفسك مكتباً يرفع من مكانتك بين الناس ... كلا . كلا ... هيا افتح لنفسك حانوتاً يدر عليك الربح الوفير ... كلا . كلا ... لا هذا ولا ذاك ... عليك أن تتزوج من امرأة غنية تستفيد من ثروتها واذكر ما كانت تقوله له المرحومة أمك : « والله لأزوجنك من فتاة شامية » وسرعان ما سافر إلى دمشق في طلب العروس .

حل جميل افندي في فندق « أمية » في دمشق ، وهو من أشهر فنادق العاصمة السورية ، وسجل في دفتره اسمه : « جميل بك العكرماوي محام من القدس » ... وكان يضع على عينيه نظارة بسلسلة ذهبية ، ويلبس لباساً أنيقاً ، ويثبت في ياقته دبوساً ثميناً ، ويحلي أصابعه بخواتم ذهبية ، وأشاع في الفندق بأنه أتى دمشق يطلب زوجة.

وإذ علم سماسرة الزواج في دمشق أن في فندق « أمية » وجيهاً فلسطينياً يود الزواج من فتاة مثرية ، هرعوا إليه ، وطرحوا خدماتهم عند قدميه .

وكان بطل قصتنا بحكم عمله ككاتب عرائض خبيراً بضروب الدجل والمخاتلة . فكان يستقبل سماسرة العرائس ، ويكرم وفادتهم ويساومهم ، ويستفهم عن الأسر القديمة الغنية ، ويجمع عنها المعلومات المفصلة إلى أن قرّ رأيه على خطبة بنت (...) باشا ، وهي تنحدر من أسرة تركية عريقة استوطنت دمشق منذ أيام عبد الحميد ، ثم أثرت ، واستعربت .

وبعد مداولات مع أهل العروس ، وهدايا متواصلة حملها جميل بك لابنة الباشا ، وحديث مطول ألقاه على مسامعهم عن أملاكه في فلسطين في عين كارم والخليل ... وبيارات في يافا واللد ... وعن مكتبه الرئيسي في القدس ، وفروعه المنتشرة في جميع أنحاء البلاد المقدسة ... اقتنعت أسرة الباشا بمكانة جميل بك السامية ، وكان له شريك في القدس يرسل إليه برقيات عن سير « القضايا » في دور المحاكم ! ...

وهكذا تمّ عقد قران ابنة الباشا على جميل بك العكرماوي في حفلة اقتصرت فيها الدعوة على الأقارب والأصدقاء ، ثم رحل العروسان إلى لبنان ليقضيا شهر العسل في فندق (الفاصوف) في ضهور الشوير ... وطالما كان يحدث العريس عروسه وهما في مصيفهما الجميل هذا ، عن أشهر مرافعاته في المحاكم محركا يديه ، وملوّحاً بأكمام (الروب ... دي شامبر) ، ومتنقلا في الغرفة ذهاباً وإياباً ، وكانت عروسه تستمع إليه طربة ، وهي مستلقية على مقعد وثير طويل وقد عقدت يديها تحت رأسها .

وقالت له مرة : حدثتني كثيراً عن قضاياك ... لكنك لم تحدثني قط عن حياتنا الزوجية في بلدك وكيف ستكون ؟

قال : دعى الحديث عن حياتنا المقبلة ، فقد صرنا الآن روحين فى جسم واحد ، أو جسمين تختلج فيهما روح واحدة ! ... وثقى بأننى سأوفر لك جميع أسباب الرفاهية والسعادة فى منزلى الجديد الذى أبنيه فى حى القطمون فى القدس . والآن أرجوك ترك هذا الموضوع الجاف ، وهيا بنا إلى البستان لنأكل ما طاب لنا من الفاكهة .

وبعد انقضاء شهر العسل سافر العروسان إلى القدس ، ونزلا فى بيت حقير شبه قذر يقع فى محلة (وادى الجوز) ... ولما وطئت قدما إبنة الباشا هذا البيت ارتدت إلى الخلف مذعورة وقالت : ما هذا الذى أراه يا ابن عمى ؟ !

قال : لا تضطربى ... إننى متخاصم مع أهلى ، وقد انفصلت عنهم مؤخراً ، واضطررت إلى استئجار هذا البيت المفروش مؤقتاً إلى أن يتم بناء بيتى الجديد فى حى القطمون ... وبيتى الجديد ... عفواً ... بيتنا الجديد ، هو عبارة عن طابقين مبنيين من الحجر الأحمر المعرّق ، وله حديقة غناء مزروعة بأطيب الزهور والرياحين ، وله أربع شرفات فى جوانبه الأربعة ، تطل إحداها على المدينة المقدسة ، وتطل الثانية على هضاب بيت لحم ، وتطل الثالثة على قرية الملاحة ، أما الرابعة فتطل على أحياء القدس العصرية ، وسأفرشه بأفخر الأثاث المصنوع من خشب الزيتون .

ومرّ الأسبوع الأول ، ثم تلاه الثانى والثالث ، ثم اكتمل الشهر ... وكل شىء باق على ما هو عليه ضمن الوعود المتواصلة وكانت سيارة تأتى إلى البيت فى كل صباح لتقلّ جميل بك إلى عمله ثم تعيده مساء ...

ويبدو أن ابنة الباشا قد خامرها بعض الشك فى سلوك زوجها ، فعقدت النية على أن تزوره فى مكتبه وأن تلح عليه بالذهاب معاً لرؤية البيت الذى لم يكتمل بناؤه بعد . وراحت فى أحد الأيام تبحث عنه وعن مكتبه بجوار دور المحاكم ...

وهناك سألت أحد سعاة البريد عن مكتب المحامى جميل بك المكرماوى ، فقال لها إنه لم يسمع بهذا الإسم قط ... ثم سألت غيره فتلقت منه الجواب ذاته ... ثم سألت عنه أحد كتاب العرائض ... فقهقه هذا وظنها عميلة جديدة وقعت فى فخ زميله جميل ... فقال لها : إننى لا أعرف جميل بك المكرماوى ، لكننى أعرف جميل المكرماوى كاتب العرائض ، وهاهوذا يجلس فى تلك الزاوية من العمارة ... وأنصحك بألا تكتبى عنده شيئاً فهو شخص يغرر بالسذج من الناس وإننى لعلى استعداد بأن أتقاضى منك من الأجر نصف ما يتقاضاه هو ... يضاف إلى ذلك أننى آخذ على عاتقى ملاحقة قضيتك فى جميع الدوائر ، هلا أطلعتنى أيتها السيدة على ماهية قضيتك هل هى جزائية ... أو حقوقية ... ؟

وتركته المرأة مسرعة إلى حيث أشار ، فرأت زوجها يضع ورقة على ركبته ، والعرق يتصبب من جبينه ، وهو يكتب رسالة لرجل فقير كسيح ...

فصرخت ... وخرّت على الأرض مغمى عليها .

نجاتى صدقى

إذا أردت نموذجاً

من الميزان الدقيق ، والتحليل العميق ، والرأى الثاقب ، والنقد الصائب ، والدليل الذى يرشدك إلى قيم أشهر الكتب

وأقدار أشهر الكتاب فاقرأ :

كتب وشخصيات

للأستاذ الناقد سيد قطب

فهو خير ما صدر فى هذه الفترة الأخيرة

من كتب التحليل والنقد

يقع فى ٣٥٢ صفحة من القطع المتوسط

ويباع فى ادارة الرسالة

وفى سائر المكتبات الشهيرة وثمنه ٣٥ قرشاً عدا أجرة البريد

دعوة فى وقتها :

الرسالة الخالدة . . .

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا
الأمين العام لجامعة الدول العربية

عرض وتعليق

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

فى أصول الدعوة

وهو يقرر فى فصول الباب الأول من الكتاب أصول تلك الرسالة الخالدة ، وهى تنحصر فى دعامتين اثنتين وهما الإيمان بالله الواحد والإحسان ، فمن آمن بالله الواحد وعمل صالحاً فهو مسلم متبع لرسالة الله ، سواء أكان قبل محمد أم بعده « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ! » والإحسان على معناه الأوسع الأعم الذى يشمل كل نشاط ينفع الناس ويعمر الدنيا .

وهذه الحقيقة وإن كانت معروفة للخاصة من الناس إلا أنها لدى العامة مجهولة ، ولذلك تأتى الآن فى وقتها ، وقت الدعوة إلى الإنسانية الجامعة والعالمية الشاملة التى لا بد فيها من فهم الدين على حقيقته فهماً يجمع الناس ولا يفرقهم ، ويعقد بينهم سباقاً للخير كما يقول الله لأهل الأديان الثلاثة : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، فاستبقوا الخيرات » لا سباقاً إلى الشر والخروب كما يقول الشيطان ...

وتقرير هذه الدعوة الآن بلسان زعيم من كبار زعماء المسلمين وأمين جامعة الدول العربية أمر له مابعده ! وشأن جدير أن يخطو بالجامعة العربية والجامعة الإنسانية خطوات حثيثة .

والحق أن القرآن أتى فى هذا الأمر بالعجب العجاب الذى لم تأت به فلسفة العصر من التسامح وفهم روح الدين .

والحق كذلك أن الأرض تحتاج مسيس الحاجة إلى وحدة اتجاه أهل الأديان الثلاثة السماوية وأهل الدينين الكبيرين العاملين منها المسيحية والإسلام بوجه خاص ليقاوموا عوامل الجحود والطغيان والتنكيل بميراث الإنسان .

والحق كذلك أنها دعوة مدخرة لسكان الشرق الأدنى من المسلمين والمسيحيين واليهود — إن تركوا مزاعم الصهيونية البغيضة — وقد نصر الله روح حضارتهم على روح الوثنيات دائماً ، وآخر معركة بين الروحين هى معركة اليابان التى ما كان أحد يدرى ما ذا كان يحدث لأتباع الأديان الثلاثة من انقلاب فى مثلهم العليا الدينية الواحدة لو انتصرت اليابان وأتت بموجات وثنيات الشرق الأقصى طاغية بها على بلاد المسيحيين والمسلمين واليهود ؟ !

وقد كنت كمسلم أخشى هذا وأتمنى أن أدعو المسلمين وقت معركة اليابان إلى الفطنة لهذا المعنى وأخذ نصيبهم من المعركة ، لولا أن قعد بى ملاحظة أن فى هذه الدعوة عمالأة للانجليز غاصبى بلدى وبلاد المستضعفين من قومى وغيرهم ، مما يدعو الأحرار أن يتمنوا هزيمة أعداء الحرية ولو على يد الشيطان كما قال تشرشل حين حالف روسيا العدو الأول للامبراطورية البريطانية ضد الألمان ...

وعزام باشا يثبت دائماً هذا المعنى الجامع للمسلمين وأهل الكتاب خصوصاً النصارى ، ويدعو المسلمين والمسيحيين فى الشرق بوجه خاص لينهضوا برسالة الإنسانية فى العصر الحديث ، وينادوا العالم إلى ما عندهم من الأخوة السامية على الأجناس والألوان والنعرات . وهو يقرر دائماً أن التسامح هو السبيل الوحيد إلى تحقيق الوحدة العالمية ، ولن يكون التسامح إلا بتوطيد الدعامة الثانية للدين وهى الإحسان المبنى على أصلين عظيمين : هما الرحمة والإخاء

فى الاصلاح الاجتماعى

يرى المؤلف فى فصول هذا الباب الأربعة أن الإصلاح الاجتماعى فى الإسلام على أربعة فصول : التطهير الخلقى للفرد ، والتكافل بين الجماعة ، والبر الذى يطارد الفقر والترف والربا ، والعدالة والحرية اللتين هما ميزان الخليقة والشريعة . فأما التطهير الخلقى للفرد فهو نتيجة للعقيدة الخالصة بالله المتصف بجميع صفات الكمال والجمال والجلال ، إذ العبد مأمور أن يتخلق بأخلاق الله ومطبوع على أن يقلد صفات سيده الذى لا شريك له ولا سلطان مع سلطانه ، فلا يتوجه قلب من يعرفه إلى غيره ولا يخشاه إذ تتساوى الخلائق فى ملكوته وفى العبودية له . فالمؤمن شجاع صادق صريح جرئ فى الحق مناضل للباطل والفساد ، كريم ، وفى ودود إلى آخر صفات المروءة والكمال .

وأما التكافل فهو مبنى على مسئولية الفرد عن الجماعة ومسئولية الجماعة عن الفرد واعتبار المسئوليتين هما أولى الوسائل فى الاصلاح الاجتماعى إذ بهما ينشأ « الرأى العام » الحارس لكيان الأمة البصير بمصالحها ، الدافع للآفات عنها المعالج بالتشريع لما ينشأ من أدوائها .

وأما البر فهو الإحسان والمواساة للفقراء ، والمتخلفين فى المجتمع . والفقر هو مشكلة العصر ومادة حديث الدعوات السياسية والاجتماعية والبر نتيجة للتكافل الجماعى . ولم يجعل الدين الفقر سبباً لازدراء صاحبه بل كانت أول مواساة الفقير هى شعوره بالمساواة مع غيره من الأغنياء . والفقير لعجز أو مرض جعل الدين مواساته وكفاية حاجاته حقاً له على المجتمع « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » والفقر لفقد الوسيلة إلى العمل جعل الدين علاجه واجباً على الدولة بإيجاد وسائل العمل والتكسب . والعمل هو الأصل وقد حض عليه الدين كثيراً .

وقد طارد الدين الترف فى أعلى المجتمع والبؤس فى أسفله ليجعل مستوى الحياة متناسقاً ، وكذلك حارب الاكتناز والربا والإسراف فى الشهوات ، واستعلاء طبقة على طبقة ؛ إذ المؤمن الصادق لا يضمر فى نفسه أنه خير من خادمه مع سيطرته عليه . وقد أعطى الإسلام سلطات واسعة لولى الأمر ليحقق البر والمساواة بين الناس ، ودعا إلى البر بجميع الوسائل بالترغيب والترهيب ، وجعل حق الفقير حق الله فهو مصون وليس لأحد أن يمن به . والبر فى الدين بر عام شامل لفقراء المسلمين وغيرهم لا فرق بين فقراء دين وفقراء آخر .

والحق أن فى هذا الفصل بياناً واضحاً لطرق مكافحة الفقر بتثبيت قواعد البر وصوره فى الضمير قبل ظواهر القوانين . وأما العدالة والحرية فهما مبدآن فى السياسة وفى الدين الذى هو محطم القيود والأغلال الوهمية عن النفس البشرية ، ولن يقوم مجتمع صالح إن لم يؤسس على ميزانهما الذى لا يحابى الأحباب ولا يظلم الذين وقع عليهم البغض والشنآن .

والحرية فى الإسلام من أقدس الحقوق فى السياسة والفكر والدين والحياة المدنية ، وهى مكفولة للصابئ والمجوسى واليهودى والنصرانى والمسلم يقول ويكتب ما يشاء فى حدود المصلحة العامة فلينظر من شاء كما يشاء فى الكون ليستنبط لنفسه ما يراه حقيقة تطمئن نفسه إليها ، ولا ملام عليه ولا جناح .

فى العلاقات الدولية

فى هذا الباب فصول ستة يتجلى بها الطابع الأصيل الذى غلب على حياة المؤلف كرجل سياسة من الطراز الأول ، وقد أتى فى فصوله بأبحاث بكر عن الدولة الإسلامية الأولى وتاريخ علاقاتها بالمناهضين للاسلام ، وحلل أولى معاهدة دولية بين المسلمين واليهود والوثنيين ، وخرج منها بمبادئ تجعلها نموذجاً قديماً لعصبة الأمم الحديثة . ثم بين الدواعى والأسباب التى جعلت الحرب الدفاعية أمراً لا مناص منه بين الدولة الإسلامية الناشئة والمناهضين لها ، وبين تقييد الحرب فى الإسلام بالأغراض السامية ، سلبية كانت كدفع الظلم والاعتداء عن النفس وعن المظلوم أيا كان ، أم إيجابية كالخير العام أو الصالح العام ، ولا يجوز أن تكون أغراضها هى التوسع فى الملك أو الاستعمار أو تعجيز الآخرين لإضعافهم عن المنافسة فى ميادين العيش ، ولا العلو والاستكبار وحب البطش .

وبين أن الإسلام دين عملى يواجه الحقائق حين أباح الحرب لدفع العادية أو نصرة المظلوم ، وما ورد فى القرآن من آيات الشدة

مطبعة الرسالة تقدم

الطبعة الجديدة من كتاب :

فى أصـــول الأدب

للأستاذ أحمد حسن الزيات

يطلب من « دار الرسالة » ومن سائر المكاتب الشهيرة

وثمنه ٣٥ ص عدا أجرة البريد

إدارة الهندسة القروية

بشبين الكوم

تقبل العطاءات لغاية ظهر ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٦ عن دق مواسير صرف ارتوازى ببيارات دورات مياه مساجد كشيش وسبك الأحد وشطانوف وشبرا قباله وتلبنت أبشيش وكفر القريتين ومسجد الخضر فى عقد واحد ثمنه جنيه بخلاف مائة مليم بريد ويطلب على ورقة دمغه ٦٣٢٠

سكك حـــديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصا لعرض الإعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهودا صادقا من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية التى ينشدها كل من يرمى إلى التوسع فى أعماله وكل تاجر يسعى إلى رواج تجارته .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة بمحطة مصر

مطبعة الرسالة